جامعة قاصدي مرباح – وقلة

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي فلسفة عامة

ميدان : العلوم الاجتماعية

تخصص : فلسفة عامة

من إعداد الطالبة : **إشراف الأستاذ**

السخري أم الخير **طاهير رياض**

الموضوع :

التفسير الديني للأخلاق عند أوغسطين

نوقشت يوم:...../...../2021

أمام لجنة المناقشة المكونة من

د– برابح عمر	جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة	**رئيسا**
د– طاهير رياض	جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة	**مشرفا**
د– بن غزالة	جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة	**مناقشا**

الموسم الجامعي2021/2020

(بسم الله الرحمن الرحيم)

شكر وعرفان

في البداية نحمد الله ونشكره الذي أعاننا بفضله على اتمام هذا العمل كما اتوجه بشكري إلى والدي العزيز وأمي الغالية وكل من اخواتي وصديقاتي الغاليات كما اتوجه بخالص الشكر إلى استاذي الفاضل الدكتور **رياض طاهير** والذي رافقنا في كل خطوة نحو إنجاز هذا العمل

وأخيرا كل الشكر لنفسي التي لم تيأس وضلت تكافح حتى اللحظة الاخيرة لإنجاز هذا العمل.

إلى سندي واغلى ما لدي لوالدي الغاليين اللذان يعدان مصدر شغفي وإلهامي في اتمام دراستي وصولا إلى ما انا عليه اليوم فلهما كل الشكر والامتنان على بقائهما بجانبي كما اهديه إلى استاذي الفاضل الذي كان مصدر عون كبير من خلال ما قدمه لي من توجيهات ونصائح وإلى كل من صديقاتي منال وهاجر ونجوى اللذين هم بمثابة اخوة لم تلدهم أمي واللواتي رافقنني في كل خطوة نحو النجاح وتقاسمنا معا الالآم والأفراح وأمر بإهدائي هذا إلى كل من ساعدني في اتمام هذا البحث ولو بشكل بسيط

مقدمة

شهد الفكر الإنساني منذ بداية إكتسابه للوعي المعرفي والفلسفي عدة تطورات في مراحل زمنية مختلفة، فقد عرفت كل مرحلة إتجاهات فكرية مختلفة ولعل من أبرزها الفكر الفلسفي الذي عكس مختلف إهتمامات و إنشغالات الإنسان الفكرية على مدى العصور الزمنية ، وكشفت بذلك فلسفة كل عصر عن أبرز القضايا والمسائل التي شهدها عصرها. وعليه فقد نالت فلسفة العصور الوسطى اهتماما كبيرا لدى العديد من الباحثين والمفكرين في ذلك العصر، وذلك راجع لطابعها الفكري المتميز عن غيره من العصور، إذ تمثلت في كونها الوعاء الذي امتزجت فيه معارف مختلفة من الفلسفة اليونانية القديمة وتعاليم الديانة المسيحية وفقا لما يناسب جوانب الحياة الإنسانية، ولعل الفضل يرجع بالدرجة الأولى إلى أباء الكنيسة في تشكيلهم لهذا النسق الفكري المتميز.

وإذا ما اطلعنا على فلسفة العصور الوسطى، نجدها قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالديانة المسيحية التي فرضت سيطرتها على مختلف جوانب الحياة الإنسانية للمجتمع الغربي، والتي من خلالها قامت الحضارات الغربية، كما أنها تدخلت في مختلف مجالاتها الحياة الإنسانية بما فيها الاجتماعية والسياسية والأخلاقية وغيرها، ولعل من أبرز المجالات التي تدخلت فيها الديانة المسيحية بشكل كبير نجد الجانب الأخلاقي، لكونه النقطة المهمة التي ساهمت في قيام هذه الحضارة وتطورها ،ومن ثم فقد تعمد العديد من مفكري ذلك العصر، التركيز على مسألة القيم الأخلاقية وإعطائها القدر الوافي من البحث والنقاش.

ومن أبرز المفكرين اللذين أسهموا بشكل كبير في تغيير مسار الأخلاق في المرحلة الوسيطية نجد القديس أوغسطين ، والذي يعد بحق المفكر الأول الذي أقام جذور المسيحية على أواصل الأخلاق، وقد إجتهد في تبني وعلاج العديد من القضايا والمشكلات التي واجهت الإنسانية في ذلك العصر، وخاصة إشكالية الأخلاق والتي اعتمد في تحليلها وتفسيرها على المنظور الديني و اللاهوتي، وعالج أوغسطين مسألة القيم إنطلاقا من الديانة المسيحية، وهذا ما ظهر في العديد من مؤلفاته ولعل من أبرزها كتابه الشهير "مدينة الله" الذي تطرق فيه إلى مختلف تيارات الفكر المسيحي وحاول الاحاطة بمختلف المسائل التي

أثارت جدلا واسعا في الفترة التي عاشها، مستنجدا في ذلك بكل ما سبقه من المعارف اليونانية وتعاليم الديانة المسيحية.

وكان مذهبه في ذلك قائم على التوفيق بين الدين المسيحي وما قدمته الفلسفة اليونانية ،كما هدف من خلال مؤلفه هذا إلى التصدي لكل التهم والاعتراضات التي مست العقيدة المسيحية من طرف الوثنيين الرومان ، الذين ارجعوا أسباب دمار حضارتهم إلى الدين المسيحي، وعليه فقد كان أوغسطين مدافعا عنيدا عن هذه العقيدة محاولا بذلك البحث في الأسباب التي جعلت المسيحية محط الإتهام ،وتوجه في البحث أيضا عن أسباب سقوط روما ودمارها حتى توصل إلى أن العقيدة الدينية التي اعتمد عليها الرومان هي التي أسفرت عن الفساد الأخلاقي في المجتمع، ومنه انتقلت عدوى الفساد لتمس شتى المجالات السياسية والاقتصادية وغيرها، مما أدى إلى هلاك هذه الحضارة.

وبناءًا على ما سبق، سعى أوغسطين إلى محاولة إصلاح هذا الوضع الذي آلت اليه روما بدءا بالإصلاح الديني الذي يقوم على العقيدة الصحيحة في نظر أوغسطين ألا وهي العقيدة المسيحية، والتي من خلالها يمكن تأسيس قيم أخلاقية مثالية، كما أنها السبيل الوحيد الذي يراه أوغسطين مناسبا لقيام أي دولة أو حضارة ولتحقيق الامن والسعادة الأبديين.

ولهذا فقد ركزنا في هذا البحث، على إشكالية الأخلاق عند أوغسطين وذلك من خلال طرح الإشكالية التالية:

كيف نظّر أوغسطين للمشكلة الأخلاقية؟ وبصيغة أدق: هل يمكن التوفيق بين المسألة الدينية والمسألة الأخلاقية في نسق أوغسطين الفلسفي؟

ولقد تفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية ، يمكننا حصرها فيمايلي:

- على أي أساس أقيمت الأخلاق في المرحلة الوسيطية ؟
- ما هي حقيقة كل من المدينتين مدينة الله ومدينة الشيطان؟
- وما أصلهما والغاية منهما ؟
- فيما تتمثل العلاقة التي تربط بين كل من المدينتين؟

– وفيما تتمثل إشكالية الأخلاق عند أوغسطين ؟

– وما هو أصل الشر بالنسبة له ؟

– ما هي حقيقة الفضيلة عند أوغسطين ؟وما هي أبرز أنواعها ؟

ولتحليل الإشكالية السابقة الذكر، اعتمدنا في بحثنا هذا على ثلاث مناهج أساسيين:

المنهج التحليلي : والذي ساعدني في تحليل التفسيرات التي قدمها أوغسطين في مسألة القيم الأخلاقية وكذلك اعتمدت عليه في تحليل بعض الآيات والأقاويل الواردة في نصوص الكتب المقدسة لكونها صعبة الفهم وغامضة بعض الشيء

واعتمدت المنهج المقارن : والذي اعتمدت عليه في المقارنة بين نموذج كل من المدينتين وتوضيح نقاط الإختلاف بينهما كما ساعدني في التفرقة والتمييز بين بعض المصطلحات المتعارضة التي عالجها أوغسطين في مشكلة الأخلاق مثل مفهوم الخير والشر والفضيلة والخطيئة وغيرها من المصطلحات.

المنهج النقدي، ويظهر لنا هذا المنهج في نقد كل أفكار أوغسطين، وهو ما تقتضيه مختلف الدراسات الفلسفية.

وللإجابة عن الإشكالية العامة للبحث وباقي التساؤلات الفرعية تعمدنا أن اقسم البحث إلى ثلاثة فصول بداية من المقدمة وأنهيته بخاتمة ،حيث تضمن الفصل الأول: الأطر العامة للفكر الأخلاقي في المرحلة الوسيطية

بحيث قسمناه هو الآخر إلى ثلاثة مباحث فتناولنا في المبحث الأول مفهوم الأخلاق في المرحلة الوسيطية، وذلك بهدف توضيح الطابع الأخلاقي السائد في تلك الفترة وكذلك لكشف المرجعيات التي اعتمدوا عليها في تأسيس فكرهم الأخلاقي، ثم تناولت في المبحث الثاني الأخلاق والفضائل في المرحلة الوسيطية، وذلك بغية توضيح الأحكام التي اعتمدت عليها المسيحية للتمييز بين الأفعال الخيرة المتمثلة في الفضيلة والأفعال الشريرة، التي تمثلت في الرذيلة والخطيئة أما في المبحث الثالث و الأخير لهذا الفصل فقد تطرقنا فيه إلى علاقة الأخلاق بالخطيئة الأولى في مرحلة العصور الوسطى وذلك للكشف عن المصادر

الأولى التي شكلت المفاهيم الأخلاقية لدى المسيحيين وكذلك لإبراز إسهامات الدين المسيحي في تشكيل القيم الأخلاقية السائدة في ذلك العصر.

أما في الفصل الثاني الذي كان عنوانه مدينة الله في مقابل مدينة الشيطان عند أوغسطين، قد قدمنا فيه لمحة عن نموذج مدينة الله ومدينة الشيطان، وقد إعتمد أوغسطين هذا النموذج بغرض علاج مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية التي عرضت في عصره معتمدا في ذلك على نظرياته الدينية واللاهوتية، وكان المبحث الأول بعنوان حقيقة مدينة الله، وهذا لنكشف عن أصلها والغاية منها وتحديد الأسس التي قامت عليها هذه المدينة، اما المبحث الثاني فيظم حقيقة المدينة الأرضية وأصلها والغاية منها، وذلك بهدف الكشف عن زوايا أخرى بخصوص مسألة الأخلاق عند أوغسطين، وكذلك لمعرفة طبيعة النظام السياسي والأخلاقي الذي يحكم هذه المدينة، وفي المبحث الثالث والأخير لهذا الفصل توجهنا إلى طرح طبيعة العلاقة بين المدينتين والتي تمثلت في علاقة صراع بهدف تحقيق السلام الأبدي.

أما الفصل الثالث والأخير فقد كان بعنوان الأخلاق عند أوغسطين، حيث قسمناه هو الأخر إلى ثلاثة مباحث، بحيث تناولنا في المبحث الأول مفهوم الخطيئة عند أوغسطين، وهذا لنتمكن من كشف الغموض حول مسألة الخير والشر عنده، اما في المبحث الثاني خصصناه للحديث عن أصل شرور الإنسان عند أوغسطين، وهذا لنكشف عن حقيقة أصل الشر وكيف دخل إلى عالم الإنسان، أما المبحث الثالث والأخير فقد كان تحت عنوان أساس الفضيلة عند أوغسطين وأنواعها والذي قد وضحنا فيه نظرة أوغسطين للفضيلة والغاية منها.

ولعل من أبرز الدوافع التي حفزتني لاختيار هذا الموضوع، الرغبة في تسليط الضوء على جانب مهم في حياة الإنسان وهو الجانب الأخلاقي،وقد اعتمدت على القديس أوغسطين كنموذج لكونه قد أسس طابع أخلاقي مميز عن غيره من الفلاسفة وكذلك قد اخترت هذا الموضوع لكونه موضوع شيق،و لافت للانتباه من الناحية الفكرية والمعرفية.

ولعل من جملة الأهداف التي نهدف لتحقيقها،هي تسليط الضوء على طبيعة الفكر الأخلاقي السائد في المرحلة الوسيطية ،والكشف عن مدى دوره وأهميته في الفكر الغربي، كما هدفنا إلى تحديد مكانة ودور أوغسطين بشكل خاص لكونه قد ساهم بشكل فعال في احداث تغييرات كبيرة في ميدان الأخلاق من خلال ما قدمه من دعائم ومبادئ من أجل النهوض بالفكر الأخلاقي وإرساء قيم أخلاقية عالية.

ومن المعروف انه في أي بحث أكاديمي هناك مجموعة من العوائق والصعوبات التي تقف في طريق كل باحث ومن بين هذه الصعوبات التي واجهتها:

– صعوبة في فهم بعض المصطلحات والمفاهيم التي تعود إلى حقبة العصور الوسطى

– ضيق الوقت بخصوص الفترة التي المحددة لإنجاز هذا البحث فهي لم تكن بالقدر الكافي لإتمام هذا البحث على أكمل وجه

ولكن بالرغم من كل هذه العقبات إلا أنني لم استسلم وعملت على انجاز هذا البحث بشكل بسيط يلم بأهم النقاط الاساسية في الموضوع المدروس .

ولكن على الرغم من هذه الصعوبات ،إلا أنني عملت على تجاوزها وإخراج العمل على صورته النهائية.

الفصل الأول :الأطر العامة للفكر الأخلاقي في المرحلة الوسيطية.

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق في المرحلة الوسيطية

المبحث الثاني: الأخلاق والفضائل في المرحلة الوسيطية

المبحث الثالث: علاقة الأخلاق بالخطيئة الأولى في المرحلة الوسيطية

الفصل الأول:الأطر العامة للفكر الأخلاقي في المرحلة الوسيطية

من المعروف أن لكل حقبة زمنية طابعها الفكري الخاص والذي يميزها عن غيرها من الأزمنة ،وعليه فقد شهدت مرحلة العصور الوسطى تغييرا جذريا في مختلف الجوانب التي تخص الإنسان وخاصة في الجانب الأخلاقي والذي قد أخذ محل إهتمام العديد من مفكري ذلك العصر من البحث والنقاش ،بحيث أن العنصر الاساسي الذي اسهم في احداث التغيير في هذه الفترة هو الديانة المسيحية التي عرفت إنتشارا واسعا مما جعلها تتدخل في مختلف مجالات حياة الإنسان وخاصة في مجال الأخلاق إنطلاقا من المرحلة الوسيطية وعليه فقد صنعت هذه الديانة صورة جديدة عن الأخلاق فقد دمجت بعض من أفكار الفلسفات السابقة لها من اليونانية وغيرها مع الديانة المسيحية ،وكل هذا يعود إلى آباء الكنيسة والمفكرين الذين إهتموا بالجانب الأخلاقي بحيث يرجع الفضل لهم في تأسيس تشكيلة مميزة من القيم الأخلاقية بناء على ما إطلعوا عليه من معارف سابقة وتعاليم الدين المسيحي و أنتجوا بذلك فكرا خاصا بهم وبالتمعن في ما تحمله فلسفة العصور الوسطى من قضايا اجتماعية وأخلاقية وحضارية نجدها قد شكلت محورا هاما لطرح العديد من القضايا والمسائل الفكرية ولعل من أبرزها المشكلة الأخلاقية والتي سلط عليها الضوء من طرف العديد من الفلاسفة والمفكرين.

المبحث الأول:مفهوم الأخلاق في المرحلة الوسيطية

تميز العصر الوسيط ببروز أنماط جديدة من التفكير الإنساني في شتى المجالات وخاصة في المجال الأخلاقي وذلك لظهور مصادر جديدة للتفكير تمثلت في الدين المسيحي،وتعد فترة الأباء المسيحيين بداية هذا النمط الجديد من التفكير إذ دمجت الأفكار القديمة مع أفكار الدين المسيحي فنتج عن ذلك مزيج جديد من القيم الأخلاقية التي إستدعت الكثير من الدراسة والتحليل لدى مفكري ذلك العهد وخاصة من ناحية المفهوم.

فقد إرتبط مفهوم الأخلاق في مرحلة العصور الوسطى با لديانة المسيحية حيث *انتشرت المسيحية في القرن الرابع في الامبراطورية الرومانية وكانت هذه الأخلاق عبارة عن مزيج من الفكر اليوناني والروماني واليهودي وعناصر من ديانات أخرى في الشرق الأوسط*[1]

ولهذا فإنه "من الصعب علينا اليوم أن نترجم مصطلحات الأخلاق القديمة فعندما كان أرسطو يريد لفظ شامل للأفعال التي يستحسنها ويوصى بها في فلسفته الأخلاقي ،فإننا نجده يستخدم تعبير الاشياء الجميلة أو الأمور النبيلة ويعني بها الاشياء ونعنى بها الاشياء الناتجة عن نشاط له قيمة في ذاته ولذاته ولهذا صعب على أرسطو ان يجد الترجمة الأنسب لكلمة (خير)."[2]

وعليه فنحن نفهم من هذا أنه في القديم لم يكن من السهل على الفلاسفة تحديد اللفظ الأنسب والشامل لكل السلوكات والأفعال الحسنة ووضعها ضمن مفهوم واحد ويعد أرسطو Aristote(384 ق.م_ 322 ق.م) من ضمن الفلاسفة الأوائل الذين بحثوا في هذا الموضوع *وقد وجد الفلاسفة الرومان أيضا صعوبة في ترجمة الكلمة "خير" التي يستخدمه أرسطو وغيره من الفلاسفة اليونان فقد ذهبوا إلى إستخدام مصطلح الأمانة و الإستقامة وهي*

---

[1] محمد مهران رشوان ،**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** (د ط ؛مصر :القاهرة ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،1998 م) ص 119.

[2] اتين هنري جلسون ،**روح الفلسفة المسيحية** ،تر الامام عبد الفتاح ،(ط 3 ؛مصر : مكتبة مدبولي ،1996) ص 377.

تعني ماله قيمة في ذاته كما أن شيشرون cicero (43 ق.م_106 ق.م) إتجه إلى نفس الرأي بخصوص"الأمانة و الإستقامة" وهي كلمة أستخدمت أ حيانا بمعنى الفضيلة أو الأخلاق[1]

ونعني بهذا أن معظم الفلاسفة القدماء اليونانيون منهم والرومان قد ح اولوا جميعا تأسيس اللفظ الأنسب والشامل لكل الأفعال الأخلاقية الحسنة وتجسيد التصور الأ كثر عمومية لكل الأفعال و السلوكيات الإنسانية الشريفة والحسنة كما ح اول المسيحيون الأخذ بعين الاعتبار بما قدمته الفلسفات السابقة لها في تلك الفترة من أراء ومفاهيم حول الأخلاق وسعت هي الأخرى إلى البحث في مفهوم الأخلاق ولكن أضافت عليه لمسات جديدة لم تكن موجودة في السابق.

إضافة إلى ذلك قد ذهب *،اليونان والرومان إلى ربط مفهوم الجمال بمفهوم الخير باعتبار أن هناك جمال معين في كل خير أخلاقي وهذا ما ذهب اليه المسيحيون أيضا وسوف تضل صفة الجمال للمسيحيين سمة من سمات الخير باعتباره يغطي الروح بروعة الجمال المعقول وهذا الجمال راجع للإرادة*[2]

وهذا يعني أن لصفة الجمال ارتباط بمفهوم الخير في المرحلة الوسيطية باعتبار أن الأفعال الأخلاقية الخيرة تعكس جمالها في روح الإنسان فكل من يعمل خيرا يراه الغير ذو روح جميلة بعكس من يفعل الشر فيلتمسون في ذاته القبح والكراهية وكما نعلم فان لكل شيء مصدر والأمر نفسه ينطبق على كل الأفعال الأخلاقية أيضا.

وعليه فالمصدر والمنبع الأساسي لها بحسب إعتقاد فلاسفة ذلك العصر راجع إلى الإرادة ونقصد بها الرغبة أو الميول الذاتي للإنسان بغرض تحقيق غاية لفعل سلوك أخلاقي ما وهذه الإرادة هي التي تستحق أن توصف بأنها جميلة لإعتبارها المحرك الأساسي نحو

[1] اتين هنري جلسون ،**روح الفلسفة المسيحية** ، مرجع سابق،ص 377.

[2] المرجع نفسه ،ص 377

إرتكاب كل فعل أخلاقي ،وكما أنها تتجه نحو غاية تنظمها أي أن لهذه الإرادة هدف تسعى للوصول اليه وهذا الهدف أو الغاية تكون إما تنشد الخير أو الشر.

وبهذا يمكن أن نلخص التطور الأخلاقي المسيحي بأنهم أولا ربطوا القيمة الأخلاقية بالإرادة بوصفها المصدر الأساسي لها كم أنهم جمعوا نفس التصورات عن الجمال والشرف وكل الأفعال الإنسانية الشريفة في تصور واحد أو مفهوم واحد وهو'الخير [1]

وهنا وجب علينا أن نفهم كيف نميز بين فعل الخير وفعل الشر أو ما الذي يجعل الفعل الأخلاقي يتسم بالخير أو بالشر وكيف نحدد الفعل الأخلاقي لدى المسيحيين ؟

للتميز بين الأفعال الأخلاقيةِ وجب علينا أولا أن نوضح معنى الخطيئة

"إن الخطيئة هي الرذيلة وهي عكس الفضيلة والفضيلة عادة هي السلوك وفقا لطبيعة الإنسان العاقلة،وهناك ثلاثة اشياء تتعارض مع الفضيلة وهي "الخطيئة" و"الخبث و'الرذيلة"[2]

ونفهم من هذا القول أن الخطيئة تشمل كل الأفعال الرديئة والسيئة وهي سلوك يتعارض مع طبيعة الإنسان العاقل وتشمل مختلف الرذائل ويعرف أوغسطين augustin(354_430) الرذيلة "أنها السلوك ضد القانون الأبدي والفضيلة هي الاتفاق مع القانون الإلهي "[3]

ويعني أوغسطين بهذا القول أن الفضيلة هي تطبيق ما جاء به القانون الإلهي والسير بمقتضاه ،والخضوع لأوامر الله و إجتناب مختلف نواهيه و أما الرذيلة فهي العكس فهي تنص على كل الأفعال و السلوكات التي نهى عنها الله و أن الفضائل توصلنا إلى الله تعالى ومنها نكسب دار الآخرة أما الرذائل فتقطع الصلة بالله وتجزينا بجحيم الآخرة ومنه نفهم أن الله هو اللذي يحدد الفضائل والرذائل.

---

[1] اتين هنري جلسون ،**روح الفلسفة المسيحية** ، مرجع سابق ص 378

[2] المرجع نفسه ،ص 375

[3] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

وأما القديس أنسلم "قال بان الفضيلة هي إتفاق الحكم (أو الحق)مع السلوك المستقيم (أ و الخير) "[1]

و نعنى بهذا أن القديس أنسلم عرف الفضيلة على أنها تتمحور حول الفعل الأخلاقي السوي أي المنظم والصحيح ونتيجة هذه الأفعال السوية هي التي تقودنا إلى الخير وتتفق معه ،ونجد من خلال كلا التعريفين ان الفضيلة ت ظم الأفعال السوية والصحيحة والتي لا تتعارض مع مقتضى الخير أو مقتضى القانون الإلهي.

وفي تعريفات أخرى للكتاب المقدس "ينظر العهد القديم إلى الخطيئة من نواحي مختلفة هي عصيان لأمر يهوه ،وفعل إرادة حرة صادر عن فعل شرير ،وتمرد ،وظلم وبغض لله و إبتعاد عن الله ،وعدم أمانة وعدم إيمان وفي العهد الجديد يعني بالخطيئة إهمال الخلاص أي المشاركة في ملكوت الله "[2]

ونصل من خلال هاذين التعريفين إلى أن الخطيئة هي دلالة على كل الأفعال الرذيلة والتي تتمثل في مخالفة ومعارضة كل ما قال به الله ،وعدم الخضوع لمقتضى القوانين الإلهية وبذلك تصبح الخطيئة عصيان لأمر الله وتمرد ،عليه نظرا لمخالفة أوامره وتعد الخطيئة أيضا كفعل اللامبالاة للإخلاص بعبادة الله وحده ،ومنها تنقطع صلة العبد بربه ،وعليه فبما أن الفلسفة المسيحية تهتم بمشكلات تخص الإنسان من حيث علاقته بالله والخير والشر والسعادة في العالم الآخر فقد أخذ مفهوم الخطيئة في الخطاب الديني المسيحي قدرا كبيرا من الطرح والنقاش من طرف الفلاسفة إنطلاقا من رؤيتهم الأنطولوجية واللاهوتية وذلك راجع لعالم تملأه الشرور ولصيرورة الخطأ والمعصية في هذا الوجود.

---

[1] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[2] مجلس اساقفة الكنيسة الألمانية ، **المسيحية في أخلاقياتها** ، (ط 1 ؛بيروت :منشورات المكتبة البوليسية ،1996)ص 70.

وعليه فقد جاء مفهوم الخطيئة كدلالة على كل الأفعال الرذيلة والتي تعد مصدر الشر في العالم نظرا لعدم مطابقتها لما قال به القانون الإلهي ،و إنما الرذيلة هي خضوع الإنسان لإرادته في إتباع شهوات الدنيا وملذاتها وإتباع أهواء النفس وعدم إخضاع إرادته لإرادة الله بغرض طاعته ومنه تصبح الرذيلة سببا في البعد عن الله وتمردا عليه.

ولهذا فإن ما يميز الفعل الخير من الفعل الشرير هو أن هذا الأخير يخضع للإرادة الإلهية بحرية أي أن الإنسان حر في توجيه إرادته نحو طاعة الله وذلك بإخضاع إرادته لإرادة الله أو توجيهها في سبيل عصيانه ويصبح الشر هنا هو مخالفة للنظام الإلهي و إرتكاب الأفعال التي ينهى عنها الله وعليه فان الاستجابة لإرادة الله تعد فضيلة في نظر المسيحيين والفضيلة تستحق الثواب أما الرذيلة فهي عكس ذلك وهي مصدر الشر ومنها ينال العبد العقاب من ربه.

المبحث الثاني : الأخلاق والفضائل في المرحلة الوسيطية.

تعد الأخلاق من أحد أبرز العوامل التي تتحكم في حياة الإنسان بحيث شهدت تطورا ملحوظا عبر مراحل عدة من الزمن منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض إلى يومنا هذا فلكل حضارة ومجتمع نظام أخلاقي معين يحكمه ولكل عصر طابعه الأخلاقي الذي ساد فيه فمنذ بداية الوجود الإنساني أخذت القيم الأخلاقية عدة تفسيرات و وجهات نظر مختلفة من طرف مختلف الفلسفات وذلك بدءا من ظهور الفلسفة اليونانية وصولا إلى فلسفة العصر الذي نعيشه وعليه فقد شهد العصر الوسيط طابع مميز من التفكير الإنساني وظهر هذا التميز في مجالات عدة وخاصة في المجال الأخلاقي وذلك لظهور منابع جديدة في التفكير الإنساني والتي تمثلت في الديانة المسيحية بحيث أنها أدخلت هذه الأخيرة تغييرا كبيرا على مستوى الأخلاق فقد دمجت الأفكار القديمة عن الأخلاق بما يتناسب مع أفكار الدين المسيحي مما نتج عنه مزيج جديد من القيم الأخلاقية والتي عرفت انتشارا واسعا عبر مختلف الحضارات في مرحلة العصور الوسطى.

"عملت الكنيسة في هذا العصر على تثبيت سلطانها على جميع نواحي التفكير الإنساني بحيث لم تترك للفكر أن يزاول مهمته بالاستقلال اللذي كان عليه في ضل الفلسفات السابقة وعندما إصطدم الفكر ببعض النصوص ،حاول المفكرون الدينيون التوفيق بينه وبين الدين ويمكن للباحث في أخلاق هذا العصر أن يلاحظ الخصائص التي تميزها عما قبلها.فبينما كانت الأخلاق عند اليونان تتجه إلى العقل نراها في هذا العصر تتجه إلى القلب تعتمد في تقرير خيرية الأفعال وشرتها على الوحي أكثر من إعتمادها على النظر العقلي وكيف لا وبين أيديهم أوامر الله ونواهيه وقد ترسخ في وجدانهم أن ما أمر به الله هو خير وما نهى عنه شر. "[1]

[1] محمد عبد الستار نصار ،**دراسات في فلسفة الأخلاق** ،(ط 1 ؛الكويت:دار القلم ،1982 م) ص 349

نفهم من خلال هذا كله أنه في العصر الوسيط قد فرضت الكنيسة سلطانها وهيمنتها على العقل البشري فأصبحت ترفض كل ما يقدمه التفكير الإنساني بحيث لم يعد للإنسان في تلك الفترة القدرة على تقديم أي إنتاج فكري بحرية ،إنما يلزم أولا ان يخضع أي إنتاج فكري إلى الفحص من طرف الكنيسة من خلال محاولة التمييز بين ما جاء به العقل البشري ومدى مطابقته لما ينص عليه الدين المسيحي وتعاليم الله ،فإذا وجدت الكنيسة أقوال وأراء هذا الإنتاج الفكري لا تتعارض مع الدين المسيحي فإنه يتقبلها وإذا ما تعارض ت مع الدين فان الكنيسة ترفضه ،وعليه فقد أصبح الفكر الإنساني مقيدا في هذه الفترة بسيطرة الكنيسة ولم يعد له الحرية في أن يفكر تفكيرا سليما ،كما كان في ظل الفلسفات السابقة وهذا راجع لتفشي الديانة المسيحية في مختلف انحاء العالم .

ولهذا كان مفكروا ذلك العصر يسعون دائما إلى تقديم إنتاج فكري لا يتعارض مع النصوص الدينية المسيحية ،لأنه في تلك الفترة أصبح الدين المسيحي هو الذي له السلطة في تشريع أفعال الإنسان من خلال ما نصت عليه النصوص الدينية المسيحية التي تحتوي على كلام الله المندرج في جملة من القوانين التي فرضها الله على البشر و أصبح بذلك ما يقرر الأفعال الخيرة من الشريرة هو الله.

وعلى هذا الأساس بنيت الأخلاق في المرحلة الوسيطية فأصبح الشر يقاس بمعيار ما لا يطابق قوانين الله ،و أما الخير فهو السير بما ينص عليه القانون الإلهي ومنه لم تعد الأخلاق كما كانت عند اليونان يحكم عليها بمعيار العقل ،و إنما أصبحت الأخلاق في ظل الديانة المسيحية تتجه إلى القلب أو إلى الوجدان ،وهذا راجع لما ترسخ في وجدان وقلوب الناس في تلك الفترة من تعاليم و أوامر الله التي آمنوا بها و أصبحت جزءا من حياتهم وعليه طغت الديانة المسيحية على كل جوانب الحياة في المرحلة الوسيطية وخاصة الأخلاق فأصبحت الفضيلة والخير ما يتمثل في طاعة الله و أما الشر فهو الرذائل التي ترتكب في حق الله سواء بالمعصية أو عدم الخضوع له.

"ان الفضائل المسيحية في عمومها لا تعتبر فضائل النفس المتفاعلة أكثر مما تكون فضائل النفس السلبية فالفضيلة تتحقق عن طريق التخلي عن المادة وملذاتها وبالتحلي بالصبر على الألم والمظالم "[1]

ويتضح لنا هنا الفضيلة تنطوي على عدم إخضاع إرادة الإنسان للأهواء والشهوات ويجب على الفرد أن يقاوم هذه الشهوات والملذات بالصبر وتحمل ألم تركها وذلك من خلال الزهد و التخلي عن الماديات وعدم الركض وراء حياة الدنيا لأن ذلك سيؤدي بالإنسان إلى الضلالة عن طريق الله والوقوع في الرذيلة والمعصية.

"إن هذه الحياة وما تحويه من متع وملذات لا تكون القيمة السامية في الوجود ،فهناك نوع آخر من القيم الأساسية للعالم الروحي الأزلي ،فالفضائل والقيم إذا إبتعدت عن الله أصبحت رذائل وبذلك لا ينبغي أن تطلب الفضيلة لذاتها أو لنتاجها و إنما تطلب لأنها تتفق مع إرادة الخالق لنا فالحياة الروحية التي أساسها حب الفضيلة تكون في درجة أعلى من حياة المادة ورفاهيتها " [2]

ويعني هذا ،أن ملذات الحياة الدنيا ليست ذات قيمة عالية مقارنة بالحياة الآخرة فحياة الآخرة أعلى درجة و أعلى شئنا من الحياة الدنيا ،وهذا لأن الحياة الدنيا زائلة عن طريق الموت ،أما الحياة الآخرة فهي أبدية لا تزول ولذلك وجب على الإنسان أن يضحي بالحياة الدنيا من خلال الإبتعاد عن الشهوات وملذات الحياة بالصبر والزهد و إخضاع إرادته لإرادة الله أي أن يسير بما أراده الله وليس بإرادته ،وللإنسان الحرية فيما يخضع إرادته وهذا كله حتى ينال رضى الله أولا ،ويكسب دار الآخرة ثانيا ،بما فيها من نعيم ،وجنات وذلك لأن الفضيلة تقوي الصلة بين العبد و وربه وتقربه اليه أكثر ،أما إذا ظل طريقه الإنسان يسعى وراء الحياة الدنيا وملذاتها فإنه بذلك سيقع في الضلالة.

[1] أبوبكر إبراهيم التلوع ،**الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي** ،(د ط ،بنغازي :دار الكتب الوطنية ،1995.)ص 108.

[2] أبوبكر إبراهيم التلوع ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

" ولقد كانت الفضيلة في ظل الأخلاق المسيحية ليست شيئا وراء الاحسان وكانوا يفسرون ذلك بأنه حب الله وحب الإنسان لأجل الله وفي سبيله ،لأنه موضوع عطفه ورحمته [1]"

وهذا يعني أن هدف الإنسان من القيام بالفضائل هو السعي وراء حب الله ،و إحترام قوانينه و أوامرهليختبرهم بذلك ويرى من يسعى إلى الخضوع لها لكي ينال حب الله له ومن يخالفها فإنه سيغضب الله عليه.

وعليه أصبحت الفضائل في الأخلاق عند المسيحيين كمعيار يقاس به مدى سعي الإنسان لنيل رضا الله وحبه "والسعادة القصوى هي أن يكون الإنسان محبا لله و أن يكون محبوبا منه ،والخير الأسمى لا يتحقق كاملا في هذه الدار (الحياة الدنيا) لأنها لا تتسع له ،بل يكون في الدار الآخرة التي أعد الله ما شاء فيها للمصطفين " [2]

وعليه فكل من يسعى إلى الفضيلة فإنه يصبح محبا لله ومخلصا لعبادته وكما أن الله يصبح محبا لهذا العبد الفاضل أيضا وتقوى الصلة بين الإنسان وربه ومنه يحصل الإنسان على السعادة القصوى و الأبدية وهذا هو أساس الخير الأسمى والأعلى عند الله ،لأنه من خلال الفضائل يعلو شرأن الإنسان عند ربه ويكسب الثواب في الدار الآخرة ،وليس من سبيل إلى الخير الأسمى إلا الإتحاد مع الله ويستحيل أن يتم هذا الإتحاد في الحياة الدنيا فهو جسر للحياة الآخرة و واجب الإنسان في حياته أن يسير وفقا للقانون الإلهي تمهيدا لتلك السعادة الكبرى وحسب الإنسان تلك السعادة الموعودة حافزا يحمله على الخير والفضيلة ،وأن أقوى ما يدفع الإنسان إلى الفضيلة هو الحب ،أي حب الإنسان لله وحب الله له.

إذن يتضح لنا أن مفهوم الفضيلة في الدين المسيحي إرتبط بطبيعية هذه الديانة في تلك الفترة والأساس الذي بنيت عليه الأخلاق في المرحلة الوسيطية كان مغايرا لما سبق من

[1] محمد عبد الستار نصار ،**دراسات في فلسفة الأخلاق** ، مرجع سابق ،ص 353

[2] محمد عبد الستار نصار ،المرجع السابق ،ص 353

المذاهب والفلسفات فقد سلكت الأخلاق والفضيلة في هذا العصر إتجاها لاهوتيا بغير الإتجاه الذي كانت عليه سابقا.

وعليه فما ميز الفلسفة الأخلاقية المسيحية عن سابقتها من المذاهب و الإتجاهات اليونانية هو،أن الأخلاق اليونانية وما تشمل عليه من القيم والفضائل أساسها الطبيعة البشرية ومحتوياتها ،فمنهم من ربط بين الفضيلة والنشاط العقلي ،ومنهم من أرجع القيمة الأخلاقية إلى الرغبات والشهوات البدنية ، إلا ان المسيحية في اصولها ومنذ بدياتها تجاوزت في بحثها عن السعادة ،والفضائل الأخلاقية الطبيعية البشرية وما تحتويه من عناصر روحية ومادية فأقامت الأخلاق منهجا ومذهبا على الإعتقاد والأيمان بالله ، وما يشتمل عليه من أوامر ونواه فأصبحت الفضيلة لا تطلب لذاتها ولا من أجل نتائجها بل لأنها تتفق مع إرادة و أوامر الخالق.[1]

ويعني لنا هذا أن الأخلاق المسيحية قد اضافت طابعا جديدا في الأخلاق يتمثل في كونها قد أسست الأخلاق على مبدأ روحي لا عقلي ،كما كان في المذاهب السابقة فأصبحت الفضيلة ترتبط بمدى إيمان الإنسان بالله تعالى ،وذلك من خلال إخضاع إرادة الإنسان لإرادة الله ،وبهذا فلن الله هو المصدر الأول للسلطة الأخلاقية ،وهذا هو الجديد الذي أضافته المسيحية في مجال الأخلاق ،حيث أقيمت الأخلاق الغربية خلال القرن السابع عشر على أساس الأخلاق المسيحية ،وهي طاعة القانون الإلهي الذي جاء من الله ،لذلك وجب علينا أن نطبقه لأنه تعبير عن الإرادة الإلهية وم ا دمنا نعتقد في أن القوة التي تسعى وتسهر على تنفيذ هذا القانون ،إرادة الله الخيرة فسوف يكون قانونا خيرا يعبر عن حكمة عليا ومن الواضح أن الفلسفة المسيحية قد ركزت في تأسيسها للأخلاق على الجانب الروحي مؤكدة بذلك على عدم إخضاع إرادة النفس إلى الشهوات حتى تبقى روح العبد طاهرة ولا تتخللها الخطايا.

[1] أبوبكر إبراهيم التلوع ،**الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي**، مرجع سابق ،ص 109.

وفي هذا الإطار نصل إلى أن الأخلاق ومعيار الفضيلة في العصر الوسيط قد بني على أساس ديني مصدره السلطة الإلهية ،فقد أتفق الفلاسفة والمفكرون المسيحيون على أن الله هو الذي يحدد الفضيلة ويميز لنا الفعل الخير من فعل الشر وهذا ما تم ذكره في النصوص الدينية المقدسة التي تحتوى على القوانين التي وضعها الله بهدف إرشاد الناس إلى عبادته والفوز بنعيمه.

المبحث الثالث : علاقة الأخلاق بالخطيئة الأولى في المرحلة الوسيطية.

من المعروف أن لكل مجتمع إنساني طابع أخلاقي يتميز به ولعل الأخلاق التي عرفتها فترة العصور الوسطى كان لها تشكيلة مختلفة عما سبقها من الأخلاق التي سادت في القديم بحيث ان القيم الأخلاقية في الفترة الوسيطية جاءت بناء على معتقد ديني ويعد هذا المعتقد هو المصدر الأول الذي فسرت من خلاله الأخلاق في تلك الفترة ويتمثل هذا المعتقد في الخطيئة الأولى التي إرتكبها آدم قبل نزوله إلى الأرض وهذا ما تناولته الكتب المقدسة للديانة المسيحية وعليه أصبح للأخلاق المسيحية علاقة وطيدة بالدين ومن هذا المنطلق فيما تمثلت هذه العلاقة ؟وما هي المرجعيات الأولى التي بنيت عليها الأخلاق في مرحلة العصور الوسطى؟

تميزت العصور الوسطى بتأثرها بالديانة المسيحية فقد ربط مفكرو ذلك العصر بين الدين والأخلاق بحيث لم يلعب العقل البشري دورا كبيرا بل أصبح العقل قوة لا يعترف بها أمام قوة الدين في تلك الفترة فقد سبق ورأينا أن الأخلاق في المسيحية هي في الحقيقة أخلاق مستمدة من الديانة المسيحية وهذا يوحي إلى أن هناك علاقة تربط بين الأخلاق والدين المسيحي وعليه لمعرفة هذه العلاقة يجدر بنا ان نعود إلى الجذور الأولى التى أقام عليها الدين المسيحي الأخلاق.

ولهذا فلأول مشكلة بدأ المفكرين المسيحيين في البحث عنها من الجانب الأخلاقي هي مشكلة الشر وأصله وعليه فقد إرتبط مفهوم الشر منذ بداية نشأة الديانة المسيحية بمفهوم الخطيئة الأولى وقد ساد معتقد لديهم أن سبب أ ول خطيئة وقعت للبشرية هي خطية آدم والتي حدثت منذ بداية الخلق ولذلك إبتكروا مفهوم ثنائية الخير والشر التي تجعل من الشيطان متسلطا على الحياة النفسية والإجتماعية للإنسان ،هذه السلطة التي إكتسبها الشيطان منذ أن تمكن من اغراء الإنسان.

وتدور أحداث قصة آدم والخطيئة التي إرتكبها مثلما "يروي الكتاب المقدس في شكل رمزي وبواسطة تشابيه وصور ،عملية الخلق في فصلين الأول والثاني في سفر التكوين:أوجد الله الإنسان من تراب،وهذا ما تشير اليه كلمة آدم والمأخوذة من " آدما" وتعني الأرض "[1] وهنا يتضح أن أصل آدم وسائر البشر من الأرض لكونهم خلقوا من ترابها.

ويروي الكتاب المقدس" أن الله لم يخلق الإنسان إلا بعدما أو جد جميع الكائنات الجامدة والحية ،فكان كلها هيئت لوجود الإنسان وكم يعطي الكتاب شرحا لمكانة الإنسان الرفيعة فيقول :إن الله خلقه على صورته ومثله "[2]

ويظهر هنا أن الله ميز الإنسان عن سائر المخلوقات بنعم عديدة ومنها أن الإنسان شبيه بالخالق وجعل للإنسان عقل وحرية وحبا وكل هذه الصفات الموجودة في الخالق وذكر في الكتاب المقدس أيضا :"انمو وأكثروا وإملئوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الذي يدب في الأرض(تكوين 1 :29)"[3]

ويتضح في هذا القول أن الله قد سخر للإنسان قدرة وصفة أخرى من صفاته وهي السلطة العقلية وفي هذا دلالة على المكانة العالية التي منحها الله للإنسان بصفة خاصة على غرار باقي الحيوانات الأخرى فهو يعتبر كائن م ميز عند الله وتقضي سلطته على أن يمارسها بالعمل الصالح على المخلوقات والتي تعد تكميل للخلق ولباقي المخلوقات.

"وقد اسكن الله آدم الجنه منذ أن خلقه وجعلها منزلته الأولى ليعمل فيها صالحا ويحرسها من كل شر بحسب ما ذكر في الكتاب المقدس "وأخذ الرب الاله الإنسان وجعله في جنة عدن ليفحصها و يحرسها " (تكوين،2 :15) "[4]

---

[1] علي زيعور ،**أوغسطين مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية،** (ط 1 ،بيروت :دار اقرا للنشر ،1403 هـ ،1983 م) ص 13.

[2] علي زيعور ،المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[3] الابوان بولس الفغالي وانطوان عوكر ، **العهد القديم ترجمة بين السطور (عبري ،عربي)**سفر التكوين 1. 29 ، (ط 1 ،لبنان :الجامعة الأنطونية توزيع المكتبة البوليسية ،2007) ص 2

[4] علي زيعور ،**أوغسطين** ،مرجع سابق ،ص 14

ويعني هذا أنه منذ أن خلق الله آدم قد أسكنه الجنة تكريما له وهنا يتضح أن آدم تجسيد للكمال الإنساني الذي أراده الله ، مستقل الإرادة وبطبيعة الحال فكما خلق الله آدم في الجنة لم يشأ ان يبقى آدم وحيدا فخلق من ضلعه أمراته حواء وبعد خلقهما ذكر الكتاب المقدس " إن الله وضعهما في حديقة جميلة كانا يتمتعان فيها بثمار شهية وهذا يرمز إلى أن الله أعد للإنسان سعادة قصوى وهي اشتراك الخالق في سعادته وإتحاد الإنسان مع الله " [1].

ويظهر هنا أن الوصول للسعادة يرتبط بالله تعالى و أن الإنسان هو نقطة التقاء بين الله والكون ،فالمكانة التي وضع الله فيها آدم دلالة على حب الله للإنسان ولكن الله لم يشاء أن يفرض حب الإنسان عليه لذلك خلق الله الإنسان حرا وبهذ ا له حرية الاختيار إما أن يحب الله ويوجه إرادته اليه و ،إما أن يرفض حب الله بالمعصية بالخضوع إلى رغبات الجسد و الأنحياز لأوامر الشيطان ،وهذه هي الخطيئة التي وقع فيها آدم أنه قد عصى أمر الله بسبب طمعه وشهوته و اتبع أقوال الشيطان حين أكل من الشجرة التي نهى الله أن يأكل منها مثلما ذكر في الكتاب المقدس : "وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. فيوم تأكل منها موتا تموت (تكوين 2. 18) "[2]

وفي هذا دلالة على طلب الله الطاعة من الإنسان وما كان على الإنسان إلا أن يستجيب لطاعة الله ويخضع إرادته لإرادة الله أو يرفضها ومن هنا أيضا يأتي دور الشيطان في تحقيق هذه التجربة التي كانت ملازمة لطبيعة الإنسان ككائن حر ،ولقد أشار الكتاب المقدس إلى عمل الشيطان في حديثه عن الحية التي أغوت حواء ،وهذه الحية رمز للشيطان مثلما يتضح

[1] علي زيعور ،**أوغسطين** ،مرجع سابق ،ص 14

[2] الابوان بولس الفغالي وانطوان عوكر ،**العهد القديم ترجمة بين السطور (عبري ،عربي)**سفر التكوين (2. 18) مصدر سابق ص 3

في بعض الآيات "قالت الحية للمرأة لن تموتا إنما الله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران آلهة عارفي الخير والشر (تكوين 3:1_5) "[1]

ونفهم من هذه الآيات أن إبليس دخل متسللا إلى الجنة في هيئة ثعبان و ألتف حول جذع الشجرة وخاطبهما هامسا لكي يوسوس لهما ويغويهما بكلامه لكي يأكلا من الشجرة التي حرمها الله عليهما وسألهما أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ ،فقالت حواء : نأكل من كل شجرة الجنة إلا هذه الشجرة أمرنا الله ألا نقربها حتى لا نموت ،فرد الثعبان لن تموتا ولكن الله يدري أنه يوم تأكلان من هذه الشجرة تصبحان عارفان للخير والشر ، فكانت حواء أول ضحية لوسوسة الشيطان وأكلت من الشجرة التي حرمها الله عليها وعلى زوجها وكما أنها أقنعت زوجها آدم بان يأكل منها ومن هنا وقع كل من آدم وحواء في معصية الخالق وهذه هي أول خطيئة للإنسان ،والتي ارتكبت في حق الله و اعتبرت عصيان وتمرد على الله وهذا التمرد سببه طمع الإنسان في أن يصبح ذا مكانة أعلى على الله و أن يتأله دون الله وهذه الخطيئة تعد المسار الأول لكل الخطايا الأخرى وأصل الشر فمنها تفككت وحدة الإنسان مع ذاته وصدرت منه باقي الشرور والتي تتمثل في إثارة الأهواء والغرائز وسيطرتها على العقل البشري والإرادة فأصبح الإنسان يسير وفقا لشهواته النفسية بدلا أن يخضع عقله وإرادته لإرادة الله وطاعته و أصبحت الغرائز ت تحكم في الإنسان خلافا لحاجاته الأساسية وهي طاعة الله فماذا كان جزاء الإنسان من فعلته هذه؟

"وأخيرا تحتم الموت الذي هو إنحلال لكيان الإنسان وبهذا المعنى قال الله لآدم :" تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود "تكوين(3 :19) " [2]

[1] علي زيعور ،**أوغسطين** ،مرجع سابق ،ص 15 ،ص 16

[2] المرجع نفسه،ص 16.

و يتضح أنه من هذه الخطيئة قد غضب الله على آدم وحواء وعاقبهما بالخروج من الجنة والنزول إلى الأرض وكما أنه انتقص من مكانتهما و أصبح الموت صفات الإنسان وليس الخلود فبارتكاب الإنسان لهذه الخطيئة قد دخل عالم الموت. كما أن الموت قد دخل العالم كله أيضا وهكذا حكم الموت جميع البشر بسبب الخطيئة الأولى التي إرتكبها آدم منذ البداية وألقى المسيحيون اللوم على هذه الخطيئة باعتبارها المصدر الأول للشر في العالم ولم تنتهي مخلفات هذه الخطيئة بين الإنسان ونفسه فقط أو بين الإنسان وخالقه بل تعدت إلى تصدع الوحدة حتى بين الإنسان والغير.

" فبعد أن كان آدم لا يحب ولا يتطلع إلا لله ،تعلقت نفسه بأمر آخر فأصبح يتنازعه حبان حب الله وحب ما عدا الله. هذه المقولة التي ورثتها المسيحية عن اليهودية ، والتي عبر عنها في العهد القديم بقصة الخطيئة وطرد آدم وحواء من الجنة ، بالغت المسيحية في العناية بها لأهميتها في تفسير كل تاريخ البشرية ومصيرها "[1]

ومن بعد هذه الخطيئة التي إفتعلها كل من آدم وحواء قد تخلل الفساد والشر البشر جميعا و أصبح الناس جميعا عرضة للخطيئة غير معصومين منها و أصبح الإنسان يحكمه حب الذات وحب الشهوات بدل حب الله وحده ومن خلال هذا المعتقد الذي إستوحته المسيحية عن الديانة اليهودية تم بناء مفهوم القيم الأخلاقية المتعلقة بالخير والشر على أساس معتقد الخطيئة وربطها به.

ومن هنا نستطيع القول " أن الخطيئة هي إضطراب في علاقة الإنسان بخالقه ناتجة عن إرادة حرة ومن هنا يستبعد وينحرف الإنسان عن الله ويحكم على ذاته بالشقاء فالإنسان حر وهو قادر على إرتكاب الاثم أو الخطيئة فهو يخطأ بواسطة قدرته على الخطأ "[2]

---

[1] زينب محمود الخضيري ، **لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين**،(د ط ؛القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،1998 م) ص 143.

[2] جلسون أيتن ،**روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط** ،مرجع سابق ،ص 380.

وفي هذا دلالة على أن الإنسان مخير بإرادته الحرة التي منحها الخالق له إما بتوجيهها نحو طاعة الله وفعل الخير أو بإخضاعها لحب الذات والمعصية وفعل الشر.

وقد جاء في رسالة يوحنا الرسولي الأولى :" من يفعل خطيئة فهو من إبليس ،لأن إبليس من البدء يخطئ ، ولأجل هذا ظهر إبن الله لكي ينقض أعمال إبليس " [1]

ومن هنا يتضح أن الإنسان بطبيعته ولد طاهرا من الخطايا منذ ان أو جده الله في الجنه ولكن إبليس كان يحسده على طهارته ومكانته العالية عند الله ، فأراد ان يلوث روحه بالخطايا ويجعله مثله كائن معرض للخطاء.

وبهذا نجد أن الشيطان يتخذ من النفس الإنسانية مكانا رئيسيا لأ عماله السيئة فالشيطان ليس كائنا شريرا فحسب بل هو سبب كل شرور العالم ولهذا نجد العديد من دعاة المسيحية يوصون بالإبتعاد عن الشر وتجنبه وكذا محاربته لأنه عدوا الإنسان وعدوا الله أيضا وهو سبب وقوع آدم في الخطيئة ،فا شيطان هو ممثل الشر في المسيحية أن الأخلاق المسيحية تدعوا إلى التصدي لأعمال الشيطان ومختلف أعمال الشر من خلال التسلح بمحبة الله والخضوع لأوامر فهي السبيل الوحيد الذي سيبعدنا عن الوقوع في الخطيئة وقمع الشر.

[1] العقاد عباس محمود ،**إبليس ،بحث في تاريخ الخير والشر وتمييز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ الى اليوم** ،(د ط ،مصر : دار النهضة للطبع والنشر ،1985 م) ص 102.

ونصل في الاخير إلى أن تعاليم الديانة المسيحية تدعوا في أخلاقها إلى نبذ الشر والدعوة إلى فعل الخير كما أنها تنهى عن التعامل بالمثل فهي تنص على مقابلة الشر بالخير لأنها عقيدة محبة وتسامح ،وعليه فمن خلال معتقدات وتعاليم الدين المسيحي الواردة في النصوص الدينية للكتب المقدسة وغيرها قد تم بناء وتأسيس المعتقدات الأخلاقية في الفترة الوسيطية والتي تعود إلى المرجعيات الأولى منذ ظهور الإنسان على وجه الأرض والتي تمثلت في خطيئة آدم فهي تعتبر البذرة الأولى التي انبثقت منها مختلف الأ طر الدينية للأخلاق ، والتي وضحت لنا صورة العلاقة بين الدين و الاخلاق في مرحلة العصور الوسطى

الفصل الثاني : مدينة الله في مقابل مدينة الشيطان عند أوغسطين

المبحث الأول : حقيقة مدينة الله عند أوغسطين

المبحث الثاني : المدينة الأرضية أصلها وغايتها عند أوغسطين

المبحث الثالث : العلاقة بين المدينتين (مدينة الله والمدينة الأرضية

الفصل الثاني:مدينة الله في مقابل مدينة الشيطان عند أوغسطين

مدخل عام عن المدينتين:

عمل القديس أوغسطين منذ إعتناقه للديانة المسيحية علي دراسة تاريخ الحضارة الرومانية من مختلف جوانبها بالتفصيل وذلك بهدف الدفاع عن الدين المسيحي وتبرئته من الإتهامات التي وجهها له الوثنيون الرومان في حقه فقد أدعوا أن هذا الدين هو الذي كان سببا في سقوط روما ،ودمارها وكذلك واتهم أيضا بأنه سبب فساد دين الرومانيين.

هذا الإدعاء الخاطئ في حق الدين المسيحي إستفز أوغسطين ودفعه ليكرس نفسه للدفاع عن العقيدة المسيحية فراح يتصدى للهجمات الشرسة التي شنها أعداء الله على الأيمان المسيحي فيقول :

"بعد أن دحضت بمعونة النعمة الإلهية ،أعداء المدينة المقدسة اللذين يؤثرون ملوكهم على المسيح مؤسسها ،وبواسطة الشعور بالغيرة يحمل الشؤم اليهم ، أعلنوا على المسيح كراهية شديدة "[1]

وتعد هذه المشكلة أحد أبرز القضايا التي واجهت أوغسطين وعليه *فقد لجأ إلى حلها بأسلوبه الخاص ،الذي إعتمده في حل قضايا أخرى وذلك بأنه ربطها بلله وعليه فقد كانت هذه المحاولة محاولة للنظر في التاريخ نظرة شاملة ،ولهذا ألف القديس أوغسطين كتابه الشهير مدينة الله بأجزائه الثلاثة يتناول فيه جميع مظاهر الحياة الروحية والعامة ،من سياسية ودينية وفنية وحتى العلمية على مدى التاريخ محاولا أن يستخرج من هذه النظرة أن السبب الرئيسي في إنحلال الحضارات هو بعدهم عن الدين الصحيح وهو المسيحية* [2]

[1] أوغسطين ،**مدينة الله**،تر:الخور اسقف يوحنا الحلو(ط 2 ؛بيروت :دار المشرق ،2007) المجلد 3 ،ص 6

[2] عبد الرحمان بدوي ،**فلسفة العصور الوسطى** ،(ط 3 ؛بيروت :دار القلم ،1979 م)ص 37 ،ص 38 .

ومن هنا نفهم أن هدف أوغسطين من تأليف كتاب مدينة الله هو بهدف الرد على أولائك الوثنيين وتنصير الدين المسيحي من التهم التي وجهت اليه ،وكذلك كانت له رغبته في إخراج روما من الحالة المزرية التي وقت فيها من جهة أخرى وكذا سعيه إلى تصحيح العقيدة التي كانو ا يتبعونها باعتبارها عقيدة خاطئة وحثهم على إعتناق الديانة المسيحية لكونها هي الديانة الصحيحة التي ستخرج روما من الأزمة التي وقعت فيها لهذا عمل أوغسطين على تأسيس نظرية المدينتين ولبناء نظريته في ذلك لجأ القديس أوغسطين

إلى *مفهوم الازدواجية في تأسيسه ل لمدينتين وكذا في مختلف تفسيراته لسيرورة التاريخ ويعنى بهذا المفهوم أن الله خلق الإنسانية على شكل وحدة متكاملة وهذا ما وضحته العقيدة المسيحية ،لأنه في البداية خلق الله آدم ثم خلق حواء من ضلعه وهذا دليل على الوحدة والتكامل ولكن بسبب الخطيئة التي إرتكاباها أدت بهم إلى الوقوع في معصية الله وبالتالي غضب الله عليهما و أنزلهما الله من الجنة إلى الأرض كعقاب لهما وبذلك إنقسمت تلك الوحدة إلى عنصرين وهما الخير والشر و أصبح آدم رمزا للوحدة الأصلية كم ا أنه رمز للإزدواجية نضرا لكونه سببا في إرقسام العالم إلى قسمين وهما مدينة الشيطان ومدينة الله*[1].

إعتقد أوغسطين أنه منذ نزول آدم إلى الأرض إرقسم العالم إلى قسمين وهما عالم الخير و عالم الشر وعليه فقد أرجع معظم الكوارث و الأزمات التي حلت بسكان روما هو بعدهم عن الله وعدم الإيمان به وهذا ما ادى بهم إلى الوقوع في الخطايا وحل غضب الآلهة عليهم فسلط عليهم شتى أنواع الخراب والدمار ولكن الرومان لم يدركوا ذلك و أرجعوا سبب ازمتهم إلى الدين

[1] علي عبود المحمداوي ،**فلسفة التاريخ (جدل البدأية والنهأية والعود الدائم)** ،(ط 1 ؛بيروت :دار الروافد للنشر والتوزيع ،2012) ص 95

فقد أسس أوغسطين نظرية المدينتين ليعبر عن النظام السياسي والأخلاقي الذي حكم البشرية محاولا بذلك حل مختلف المشاكل الأخلاقية والسياسية وغيرها التي سادت في مرحلة العصور الوسطى و لقد إعتمد أوغسطين على لفظ المدينة كتعبير مجازي عن طبيعة الأخلاق ومختلف النظم الاجتماعية والسياسية ولهذا وضع معنيين مختلفين ومتقابلين للتعبير عن معنى كل مدينة ولفظ أو تصور المدينة ليس بالشيء الجديد في العصور الوسطى فقد إستخدمه فلاسفة سابقون و أولهم اليونان ولكن كل فيلسوف وظف هذا التصور بأسلوب مختلف عن غيره بحسب البيئة والواقع المعاش لدى كل فيلسوف وعليه فقد اختلفت الاراء حول المصدر اللذي استمد منه أوغسطين فكرة المدينة.

فهناك من *عاد بأصلها إلى المدينة الفاضلة التي تصورها أفلاطون وهناك من قال بتقابل التوراتي بين بابل وفارس وهناك من أعاد هذا التصور إلى تصورات المزلوية* [1]

وبما أن الأراء إختلفت حول مصدر تصور المدينة لدى أوغسطين فإنه لا يمكن أن نأخذ كل الاراء بمجملها ولا يمكن ان نرفضها كلها رفضا تما أيضا و إنما هناك جانب من الصحة لكل رأي ولكن من المرجح أن المصدر الأول لهذه الفكرة هو الواقع اللذي عاشه أوغسطين كمسيحي في فترة العصور الوسطى و اللذي فرض عليه تأسيس فكرة المدينة بهدف الدفاع عن الدين المسيحي ويخرجه من دائرة التهم الخاطئة في حقه.

هذا *المأزق اللذي وجد أوغسطين نفسه فيه دفعه إلى العودة إلى الوراء ودراسة الحضارة الرومانية من نواحي مختلفة وعليه فقد عاد إلى التراث القديم كاليهودية والمسيحية بصفة عامة والمانوية بصفة خاصة.*[2]

و من خلال تتبعنا لمسار أوغسطين الفكري والعلمي نجد أنه أخذ من المانوية فكرة المدينتين

---

[1] عامر عبد زيد ، **تأويل اللاهوتي لتاريخ أوغسطين**،(ط 1 ؛بيروت :دار الروافد الثقافية ،2012)ص 96.

[2] زينب محمود الخضري ،**لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين**،مرجع سابق ،ص 108

.المبحث الأول: حقيقة مدينة الله

إعتمد أوغسطين في بناء وتفسير ه ذه المدينة على معتقد الخطيئة الأولى كما قلنا سابقا باعتبار أنه في بداية الخلق كان كل شيء خير وحسن ولكن بسبب عصيان الإنسان لأوامر الله وإتباعه لأوامر الشيطان كان جزاءه أنه انزل من نعيم الجنة التي في السماء (التي تمثل مدينة الله) إلى الأرض لتظهر بعد ذلك مدينة مخالفة للمدينة الأولى.

.فبسبب الغرور انقسم العالم إلى قسمين "و أصبح هناك نظام مختص بأناس يعيشون حسب الجسد ونظام آخر مختص بأناس يعيشون بحسب الله ونسمي هاذين النظامين مدنيتين إحداهما معدة لأن تحيى إلى الابد مع الله والأخرى لأن تعيش العذاب الأبدي مع إبليس[1]

ومنه نفهم أن مدينة الله ترجع في أصلها إلى الله فهي تعد موطنه وموطن سكانه الصالحين والطائعين له فأهل هذه المدينة يسعون نحو الفضائل وذلك من خلال الخضوع لله و إجتناب الخطايا التي سببها الركض وراء ملذات الجسد والحياة وبذلك فان جزائهم هو الخلود الأبدي مع الله في الجنة.

لقد وضح أوغسطين أن الإنسان مركب من عنصريين وهما الروح والجسد وبهذا فهو ينتمي إلى وطنين أولهما الأرض والآخر السماء ولكل منهما أساسه في طريقة الحب فالعنصر الدنيوي الذي يمثل الجسد يقوم على حب الذات إلى حد نسيان الله و إحتقاره أما السماوي فإنه يرقى بحب الله إلى حد إحتقار ذاته.[2]

وعليه فإن الجانب الروحي يميل إلى مدينة الله ولهذا فان سكان المدينة السم اوية لا يهتمون إلى رغبات الجسد وشهواته ولا يسعون حتى وراء ملذات الدنيا بل يعيشون في زهد

[1] أوغسطين ،**مدينة الله**، تر :الخور اسقف يوحنا الحلو(ط 2 ؛بيروت :دار المشرق ،2007) مج 2 ،ص 215

[2] بلور أحمد حاجي ،**الفلسفة السياسية من كونفشيوس الى هيجل** ،(ط ؛الاردن :دار اسامة للنشر والتوزيع ،2016 م) ص 63

وتقشف من الماديات إلى درجة أنهم ينسون أنفسهم ويحتقرون ذواتهم بل همهم الوحيد هو السعي إلى حب الله وتجنب كل ما قد يوقعهم في الخطايا ويغضب الله عليهم ومن صفات كل من سكان المدينتين بحسب أوغسطين .

" إن إحداهما تفاخر بذاتها والثانية تفاخر بالله. إحداهما تستجدي المجد من الناس والأخرى تضع أعز ما تفاخر به ،في الله ،الشاهد على ضميرها ،حب في كبرياء مجده يسير مرفوع الراس وحب يقول للإله 'مجدي انت ورافع رأسي(مزمور_4) مدينة تقع اسيرة التسلط من خلال رؤسائها وانتصاراتها على سائر الأمم ومدينة تقدم لنا مواطنيها موحدين بالمحبة ، يتبادلون الخدمات ،حكاما مجلين ومحكومين مطيعين،إحداهما تعتز بمقدرتها وقدرة رؤسائها والأخرى تقول :" أحبك يا رب قوتي الوحيدة " (مزمور 17_2)"[1]

من خلال كل هذا نصل إلى إن سكان مدينة الله يسعون إلى تمجيد الله والتفاخر به وليس التفاخر بذواتهم وهذا من خلال تكريس كل ما يملكونه و أغلى ما عندهم في سبيل الله حتى و إن كان على حساب ذواتهم ،فهم بذلك يضحون بأغلى الأشياء عندهم من أجل الله وفي هذا دلالة على قيمة الحب الكبير اللذي يكنونه لله تعالى والله على در اية وعلم بما يكنون له ولهذا فان مكانتهم عند الله عالية كما أنهم يعتبرون أن الله هو مصدر كل سلطة فهم لا ينجرون نحو التسلط على بعضهم أو إخضاع غيرهم تحت الحكم المستبد أو المستغل للشعب بل يخضعون لسلطة الله العادلة فحسب كما أنهم يرون أن المحبة و التعاون فيما بينهم هو الذي يستحق أن يتفاخروا ويعتزوا به ،فمن خلال الإتحاد بالله ومحبته ومحبة بعضهم لبعض سيعيشون بسلام بعيدا عن الظلم والتسلط كما أنهم سينالون رضا ومحبة الله

من خلال ذلك ،وعليه فإن "هذه المدينة تتمجد في تمجيد الرب و إن الله الشاهد على الضمير هو مجدها الاكبر "[2]

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 2** ،المصدر السابق ، ص 211 ،ص 212 .

[2] أوغسطين ،**مدينة الله مج 2** ،مصدر سابق ،ص 184

إضافة إلى ذلك فإن هذه المدينة بحسب رأي أوغسطين تسعى إلى إقامة العدالة الصحيحة بين الناس وقد سعى من خلال أبحاثه عن الحضارة الرومانية إلى تأسيس المفهوم الصحيح عن العدالة فقد صرح أنه برغم من أن الحضارة الرومانية قد كانت مزدهرة فان ذلك لا يرجع إلى قوة عتادها المادي والعسكري فحسب ،ولهذا يقول أوغسطين "لا تضنوا أن أجدادنا قد جعلوا بقوة السلاح من جمهورية صغيرة جمهورية كبيرة.ولو ان الأمر صحيح لكانت اليوم أكثر إزدهارا أليس لنا حلفاء ومواطنون أكثر مما كان لهم ؟اليس لنا سلاح وخيول أكثر مما كان لهم ؟ لكن هناك أسباب جعلتهم اقوياء لم يعد لنا مثلها اليوم "[1]

ومن هنا يتضح أن قيام الحضارة وتطورها لا يرجع إلى قوتها المادية والاقتصادية فحسب بل هناك عامل آخر وهو بحسب ما أجاب أوغسطين "في الداخل نشاط وفي الخارج حكم عادل "[2] وبهذا فهو يشير إلى العدالة والتي اعتبرها الركيزة الأهم التي قامت عليه الحضارة الرومانية وقد صرح أيضا أن هذه العدالة تعتبر فضيلة وقد عرفها أنها " هذه الفضيلة التي تعطي كل ذي حق حقه "[3]

وهنا نجد أن أوغسطين استحضر نظرية أرسطو في العدالة من خلال القول بالعدالة التوزيعية القائمة على إعطاء كل ذي حق حقه و ذلك من خلال تقييم جهد كل فرد و من ثمة تحقيق العدالة الإجتماعية التي هي مطلب إجتماعي و سياسي في الوقت نفسه.

ويقول "لا شعب يقوم إذا لم تكن مشاركا تحت حق معترف له (على انه لا حق لا عدالة) ينتج حتما أنه حيث لا عدالة لا جمهوريه " [4]

---

[1] أوغسطين ،**مدينة الله** ،تر : الخور اسقف يوحنا الحلو (ط 2 ؛بيروت :دار المشرق ،2006 م) مج 1 ،ص 243 ،244.

[2] أوغسطين **مدينة الله مج 1** ،مصدر سابق ،ص 244.

[3] أوغسطين ،**مدينة الله** ،تر : الخور اسقف يوحنا الحلو(ط 2 ؛بيروت :دار المشرق ،2007) مج 3 ، ص 116

[4] أوغسطين ،**مدينة الله مج 3** ،مصدر سابق ،ص 151

وعليه فقد إعتبر أوغسطين أن العدالة هي المقوم الأساسي للدولة وهي المعيار الذي تبنى عليه الدولة جمهوريتها و أنها مصدر الحق لكل الأفراد وذهب إلى أن إعتبر العدالة فضيلة ولكن العدالة التي كانت تطبقها الحضارة الرومانية لم تكن العدالة الحقه والصحيحة وهذا لأنها كانت عدالة بعيدة عن الله ولا تخضع إلى قوانينه.

ويتضح هذا في قوله "الفضيلة هي العمل بمقتضى أوامر الله ،والفضائل إذا انقطعت صلتها بالله أصبحت رذائل فمن الخطاء جعل الفضائل تطلب لذاتها ،ولا من أجل نتائجها النافعة بل تطلب لأنها تتماشى مع ارادة الله " [1] ،ولهذا فللعدالة هي فضيلة من الفضائل ومن الضروري ربطها بالله تعالى ،دعى أوغسطين إلى ربط العدالة بالقانون الإلهي اللذي يعد مصدر العدالة الصحيحة التي من خلالها يتأسس الحكم العادل بين الناس وينال الجميع حقوقهم دون ظلم وهذا ما كان ينقص العدالة التي كان يطبقها الرومان بحكم أنها لم تكن عدالة خاضعة لقوانين و أحكام الله بل هي أساسها القانون الوضعي الذي أسسه البشر بحسب رغباتهم و ميولاتهم.

فالعدالة عن القديس أوغسطين تتأسس "ب العودة إلى الله ،و الإلتزام بكل جوانب العقيدة الدينية ، إذن فجوهر العقيدة كما يقول أوغسطين يكمن في العلاقة بين المرء والرب وتنبثق عنها بتأكيد العلاقة السليمة بين الإنسان و الإنسان "[2]

ولهذا فان التأسيس الصحيح للعدالة بحسب أوغسطين هو تلك العدالة التي تستمد شرعيتها من القانون الإلهي وتطبق الأحكام بما يناسب ما شرعه الله وبهذا تصبح مدينة الله مثلا للعدالة الحقه التي تسعى إلى جعل الفضيلة والعدالة مسيطرتان وتسير بمقتضى القانون الطبيعي المتمثل في الحكم الإلهي.

بحيث يقول أوغسطين عن هذا القانون "نعبد هذا الإله الذي يرسم للط بلئع أصولها ،هو خالقها مبدئها وغاية حركتها ومداها في الزمن "[1]

---

[1] نقلا عن :محمد مهران رشوان ،**تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية** ،مرجع سابق ،ص 122

[2] مصطفى النشار،**تطور الفكر السياسي القديم** ،(ط 1؛القاهرة :دار القباء للنشر ،1998) ص 186

وبما أن الله هو الخالق والمسير للكون فإنه هو المسيطر والحاكم له أيضا وهو الذي يشرع السلطة لمن يشاء ويضع القوانين وما على البشر إلا طاعته وهو الذي يعدل بين الناس بما يناسب ،من خلال إخضاع العدالة للحكم الإلهي فإنه سينتج الحكم العادل ويشير إلى أن العدالة التي تخضع للقانون الوضعي الذي أقامه البشر هي عدالة ناقصة ،وغير صحيحة لكونها لا تستند على أحكام الله التي تراعي للظاهر والباطن أما أحكام البشر فهي تراعي للظاهر فقط ولا تهتم لضمائر الناس فلما يحكم القاضي على متهم ما فإنه لا يستطيع أن يعلم ما يكنه في ضميره الداخلي وبهذا فهو سيحكم عليه من الظاهر فقط ،وهذا ما يؤدي به إلى الوقوع في الظلم إتجاه المتهم ،وعلى عكس ذلك فا العدالة الإلهية عدالة منصفة تراعي لضمائر الناس وكذا لمظاهرها وذلك لأن القانون الإلهي والله هو الذي يحكمها فهو العالم بكل شيء من الظاهر والباطن ،ولكي يكون حكم القاضي عادلا ويتجنب الظلم وجب أن يرجع إلى الله ويعمل بمقتضى قوانين الله حتى يبين له الحكم الصحيح ويتجنب الوقوع في الخطيئة ويقول أوغسطين "العدالة الحقيقية قائمة فقط في هذه المدينة التي أسسها وملك عليها المسيح "[2]

ويشير أوغسطين بقوله هذا ،إلى أن العدالة الحقه موجودة في مدينة الله التي يشرف عليها المسيح وهو الذي بعثه الله كرسول ليحث غير المؤمنين بالمسيحية على إعتناق المسيحية وليصلح في الأرض ويتصدى إلى أعمال وأفعال الشر التي سببها الشيطان في الأرض.

" فبذلك تمثل مدينة الله مملكة المسيح التي إنبثقت أول الأمر في الامة العبرية ثم إنتشرت بعد ذلك وتجسدت في الكنسية والإمبراطوريات التي إعتنقت المسيحية "[3]

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 1** ،مصدر سابق ،ص 354.

[2] أوغسطين،**مدينة الله مج 3**،مصدر سابق ،ص 94.

[3] سباين جورج ،**تطور الفكر السياسي** ،مرجع سابق ،ص 276

ويتضح لنا أن مدينة الله مدينة كاملة لكون أن الله هو الذي يحكمها وسكان هذه المدينة هم الذين يؤمنون ب الله وبالمسيح ويعملون بما أمرهم الله والمسيح ويسعون إلى البحث عن الفضائل والخلاص لله بهدف إرضاءه وبهذا سينال أهلها الجزاء المناسب لهم من الله وهو الجنة التي وعدهم بها ، " في قلب هذه المدينة الإلهية تبقى التقوى حكمة الإنسان الوحيدة و أساس العبادة الشرعية للإله الحق ،ومكافأتها مضمونة في مجمع القدسيين حيث ينضم البشر إلى الملائكة "ليكون الله كلا في الكل '(1 قور 15_28) " [1]

فمن خلال سعي أهل هذه المدينة نحو الفضيلة بغية إرضاء الله فان الله سيكافئهم بمكانة عالية في الجنة ويصطفيهم مع الملائكة وبهذا فان هذه المدينة يمثلها المسيحيين المؤمنين بالله و القانون الطبيعي الإلهي الذي مصدره الله هو الذي يسير شؤونها وهو القانون الذي يتماشى مع أهل مدينة الله بحكم أنهم يؤمنون به ويخضعون له وتمثله الكنيسة في الأرض.

فالكنيسة تلعب دور الوسيط الذي يؤهل ويحفز المؤمنين بالمسيحية إلى الوصول والدخول إلى مدينة الله[2]

ولهذا فقد ربط أوغسطين "العلاقة بين الدولة والكنيسة في رأيه فالكنيسة تشرف على الدولة من أجل توجيهها إلى الحياة الآخرة.والدولة تساعد الكنيسة على تحقيق أغراضها.وبالطبع فالظاهر هنا أن النصيب الأكبر في الهيمنة لصالح الكنيسة "[3]

وهذا يعني أن للكنيسة فضل كبير في تأسيس الدولة وهذا ما أقر به أوغسطين فهو يرى أن الكنيسة تلعب دور المعلم والمرشد اللذي سيوجه الشعب والحكام لبناء وتأسيس دولة عظيمة وعليه فان الكنيسة تمثل نظام الحكم الناجح الذي شرعه الله ليحكم في الأرض بحكم

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 2** ،مصدر سابق ،ص 212

[2] مصطفى النشار ،**الفكر تطور السياسي** ،مرجع سابق ،ص 188

[3] المرجع نفسه ،ص 188 ،ص 189

أنها هي الأخرى تستمد سلطتها من الله وكذا أنها تعمل بمقتضى أوامر الله وتسير طبقا لقوانينه.

وبهذا نجد أن مدينة الله هي المثال الذي ضربه أوغسطين ليعبر عن الخير والطريق الصحيح اللذي وجب على كل انسان أن يسلكه حتى يعيش بسلام ويؤسس حضارة مزدهرة وكذا دولة ناجحة وهذا كله من خلال تطبيق أحكام الله في شتى مجالات الحياة ومنه فمدينة الله تجمع كل من موقف أوغسطين الأخلاقي والسياسي والاجتماعي معا فهو قد ربط النجاح في الحياة الدنيا والآخرة والتأسيس الناجح للحضارة والدولة وكل ما يشمل حياة الإنسان بطبيعة الأخلاق والنظام الأخلاقي اللذي وجب أن يتبعه الإنسان في حياته وهي الأخلاق التي تنص عليها العقيدة المسيحية بصفة عامة والتي مثلها في نموذج مدينة الله.

المبحث الثاني : المدينة الأرضية عند أوغسطين أصلها وغأيتها

عمد أوغسطين من خلال مؤلفه الشهير "مدينة الله " إلى إثارة العديد من الإشكاليات التي واجهت البشرية على مر العصور الوسطى فقد حاول أن يتطرق إلى علاج مختلف هذه المشكلات من خلال تفسيره اللاهوتي الذي إعتمده في مختلف قضياه وخصوصا في القضايا الأخلاقية والسياسية والتي عبر عنها في كتابه هذا فقد سبق أن قدمنا صورة عن مدينة الله التي إستخدمها كمثال للأخلاق المسيحية التي تنشد الخير وتسعى لتحقيق السعادة بناء على أوامر الله وعلى عكس ذلك قدم لنا نموذج مدينة الشيطان ليعبر عن مشكلات أخرى من جوانب مختلفة قد واجهت البشرية انذاك ،وعليه فيما تتمثل مدينة الشيطان ؟ وما أصلها والغاية منها ؟

إستخدم أوغسطين مصطلح المدينة الأرضية نسبة إلى الأرض التي يسكنها الإنسان وقد ارتبط أصل هذه التسمية بالخطيئة الأولى التي عبر من خلالها سابقا عن نموذج مدينة الله ومنه عبر عن مدينة الشيطان أيضا فمنذ أن حدثت الخطيئة الأولى إنقسم العالم إلى قسمين وتشكلت المدينة الأرضية التي اعدها الله للإنسان كعقاب على خطيئته الأولى بحيث يقول أوغسطين في كتابه " إن الطبيعة التي لطختها الخطيئة تلد مواطنين لمدينة الأرض فيسمى هؤلاء آنية غضب الله "[1]

ويعني بهذا أنه بسبب عصيان آدم لأوامر الله بسبب غروره وطمعه حل غضب الله على الإنسان وجزاه بان أنزله من نعيم الجنة إلى شقاء الأرض فمن تلك الخطيئة إنبثق الشر وتلوثت طبيعة الإنسان التي كانت في السابق طاهرة لا يتخللها شر ولكن بسبب حسد الشيطان للإنسان على طهارته ومكانته العالية عند الله تعمد الشيطان ان يوسوس لآدم لكي

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 2** ،مصدر سابق ،ص 218.

يعصي الله ويصبح بذلك معرضا للخطيئة مثل الشيطان كما تخللته الشرور والخطايا و أصبحت الأرض المدينة الأولى التي تشكل ملجأ له.

"إن حكماء المدينة الأولى ، إذ يعيشون ،بحسب الجسد ،لا يطلبون الخير إلا في ذواتهم : خير الجسد وخير النفس ،والذين منهم قد عرفوا الله (فقد عرفوه وما مجدوه كإله ولا شكروه ؛بل سفهوا في أفكارهم وأظلمت قلوبهم الغبية وزعموا أنهم حكماء فسيطرت عليهم كبرياؤهم التي تمادت في ما سموه حكمة و أصبحوا حمقى ؛وهذا المجد لا يحق إلا لله غير القابل للفساد ،استبدلوه بشبه صورة انسان ،ذي فساد ،وحيوانات وطيور وزحافات لأنهم قادوا الشعوب واتبعوها إلى مذابح الأصنام واتقوا المخلوق ،وعبدوه دون الخالق ، الذي هو مبارك إلى دهر الدهور) رومة 1 ،21.25"[1]

يتضح هنا أن أوغسطين قد عبر عن سكان المدينة الأرضية بأنهم في الحقيقة يعيشون وفقا لرغبات أجسادهم ويتبعون أهواء أنفسهم وعليه فالجسد ينتمي إلى المدينة الأرضية بعكس الروح التي تنتمي إلى المدينة السم اوية مدينة الله فأهل هذه المدينة لا يؤمنون بالله حتى و إن كانوا يعلمون بوجوده بل همهم الوحيد السعي وراء الماديات وملذات الحياة والدنيا فقد تملكهم الغرور والطمع في ملذات الدنيا والسعي نحو التملك والسيطرة على غيرهم ليحققوا مصالحهم ورغباتهم حتى انهم قد إحتقروا الله وتمردوا عليه فبدل من ان يسخروا أنفسهم لعبادته توجهوا إلى عبادة الأصنام و،الكائنات الحية الأخرى القابلة للزوال و،اهملوا عبادة الله الكامل الذي لا يموت فهم بذلك قد ضلوا عن الطريق الصحيح الذي أمرهم الله به و أصبحوا عبيدا لأجسادهم و ،شهواتهم و إبتكروا آلهة غير حقيقة و،توجهوا إلى عبادتها بدل أن يعبدوا الله الذي أو جدهم و،سخر لهم الكون والوجود كله.

قال أوغسطين "إن حب الذات لحد إحتقار الله صنع المدينة الأرضية "[2]

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 2** ،مصدر سابق،ص 212.

[2] أوغسطين،**مدينة الله مج 2** ،مصدر سابق ،ص 211.

ويعني هذا أن الحب الذي يسود ويحكم سكان المدينة الأرضية هو حب الذات بدل حب الله فهم يمجدون ويقدسون أنفسهم ويحبونها لدرجة أنهم نسوا الله وإحتقروه وهذا كله بسبب عدم أيمانهم بالله وكذلك عمل الشيطان الذي يجرهم نحو إرتكاب المعاصي والخطايا من خلال حثهم على حب شهوات الجسد وأهواء النفس ومن هنا يصبح الشر هو السائد في المدينة الأرضية حتى ولو استوطنها سكان صالحون.

وعليه *فقد ميز أوغسطين بين صنفين من البشر الصنف الأول هم أولائك الذين يغلب عليهم حب الذات فيمارسون الشهوات الحسية ويتبعون الشيطان من خلال ركضهم وراء تلبية مطالبه فهؤلاء ما يشكلون ما يسمى بالمدينة الأرضية "* [1]

و"أن المدينة الأولى تتمجد في تمجيد ذاتها وتبحث عن مجد آت من البشر " [2]

بمعنى أن السعي وراء ذواتهم وتلبية رغباتهم الجسدية هو ما يمثل الهدف الأسمى لسكان هذه المدينة فهم يمنحون الأولية للذات بدل الله ويقدسون الذات بدل الله حتى أنهم يمجدون البشر وجعلوا منهم آلهة ليحكموا ويتسلطوا وعليه أصبحت الأرض ملجأ للإنسان والشيطان معا "المدينة الأولى هي مدينة الشيطان انبثق تاريخها عندما شق الملائكة عصا الطاعة وقد تجسدت في إمبراطوريات الأشوريين والرومان والوثنية "[3]

لقد مثل أوغسطين سكان المدينة الأرضية بسكان الحضارة الرومانية فقد كان حكام هذه الحضارة يتصارعون نحو التسلط والتملك بغية تحقيق اهداف ورغبات ذواتهم فقد إشتغلوا عن محبة الله وتحقيق السعادة الأبدية وضل شغلهم الشاغل فقط السعي وراء أنفسهم لتحقيق السعادة الجسدية الزائلة بزوال اجسادهم حينما يتملكهم الموت ،فقد ضرب أوغسطين مثلا

[1] مصطفى النشار ،**تطور الفكر السياسي القديم** ،مرجع سابق ،ص 185

[2] المرجع نفسه ،ص 184.

[3] سباين جورج ،**تطور الفكر السياسي ج2**،مرجع سابق ،ص 276

بالحضارة الرومانية في تجسيدها لأهل الأرض وهذا وارد في قوله :"امد الله الاحد الرومان بعون منه ،فعرفوا بناء عظمتهم الفضيلة على أخلاقية المدينة الأرضية "[1]

لقد منح الله الحضارة الرومانية العديد من الإمتيازات في مختلف النواحي و الإتجاهات ومن خلالها أسست الحضارة الرومانية عظمتها واستقت مجدها و أصبحت حضارة راقية وقوية فمن خلال الأخلاق التي سادت عندهم إزدهرت حضارتهم عن باقي الحضارات رغم أنها لم تكن مرتبطة بالله تعالى ولهذا فلم تدم عظمة هذه الحضارة لفترة طويلة بل إنتهت بسقوط روما بسبب الحروب التي جرت بكثرة في تلك الفترة والسبب راجع إلى بعدهم عن الله وعدم الإمتثال لأوامر فالقانون الذي أسست عليه هذه الحضارة هو القانون الوضعي الذي أسسه البشر في المدينة الأرضية.

يعرف أوغسطين القانون بصفة عامة :" أنه قاعدة للحياة مهمته الوحيدة المحافظة على سلامة الحياة والدولة " [2] أو هو " قاعدة للحياة يفرضها الإنسان على نفسه وعلى الاخرين لأجل غاية "[3]

إن الله هو وضع هذا القانون بين البشر رحمة منه لينظم حياتهم ويحقق دوافعهم ورغباتهم ويسهل عليهم العيش ويحافظ على أمنهم وسلامتهم ولكن هذا القانون ينقسم بدوره إلى قسمين فهناك القانون الإلهي الذي إبتكره الله ويعمل به سكان المدينة السم اوية و،هناك القانون الوضعي الذي إبتكره البشر وتجسد في المدينة الأرضية ويستند إلى أحكام البشر. " تلك الأحكام التي يصدرها بشر ضد بشر ؛ أنها أحكام تبقى ضرورية على مستوى المدن أيا يكن السلام الذي يتمتعون به. وما رأينا فيها ؟ يا لها من أحكام يؤسف لها. وهل من عجب ؟اناس يحكمون دون أن يستطيعوا رؤية ضمير من يحاكمونهم. والتعذيب أيضا يسأل أحيانا شهودا أبرياء عن الحقيقة الخاصة بدعوى لا علم لهم بها "[1]

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 1** ، مصدر سابق ،ص 225.

[2] اسبينوزا ،**رسالة في اللاهوت والسياسة** ،تر : حسن حنفي (د ط ؛مصر :المطبعة الثقافية ،1971 م) ص 192

[3] المرجع نفسه ،ص 193

ويتضح لنا هنا أن القانون الوضعي هو من إبتكار البشر ويعمل به سكان هذه المدينة ولهذا فأن هذا القانون معرض للأحكام الخاطئة بحكم أن البشر هم من إبتكروه وليس الله فمن طبيعة البشر أنهم يخطأون كما أنه قانون متغير ونسبي وليس بالقانون المطلق الأبدي الذي جاء به الله ولهذا فأن أحكام هذا القانون خاضعة لظروف المكان والزمان فهو يتغير بتغير أحوال الإنسانية الخاطئة و أحوال الرعية.

يميل القانون الوضعي إلى استخدام السلطة والقوة اثناء العمل به وهذا راجع للخطيئة الأولى التي كانت سببا في ظهور التسلط والقوة على البشر وهذا ما ذكر في الكتاب المقدس اذ قيل في سفر التكوين "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ،فيتسلطون على سمك البحر وعلى البهائم و....وجميع الدبابات التي تدب على الأرض "[2]

وعليه فكل ما يرتبط بهذا القانون الوضعي فهو خاطئ وغير صحيح من وجهة نظر أوغسطين فمثلا العدالة في المدينة الأرضية هي عدالة غير صحيحة لكونها لا تستند إلى أحكام الله وإلى القانون الإلهي فهي عدالة لا تراعي لضمائر الناس بل تحكم عليهم من الشكل الظاهري وليس الباطني فالبشر لا يستطيعون أن يعلموا ما تكنه النفوس في باطنها فالله هو وحده القادر على معرفة ذلك لهذا فإن القاضي لما يحكم على متهم ما دون أن يستند إلى العدالة الإلهية فهو بذلك سيقع في الظلم نتيجة جهله للحقيقة الكاملة وعدم مراعاته للضمير الإنساني.

وبهذا يرى أوغسطين أن كل حكم يصدر عن البشر دون أن يستند إلى قوانين الله وأحكامه هو حكم ظالم فهو لا يكشف عن الحقائق الصحيحة.

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 3** ، مصدر سابق ،ص 122

[2] الكتاب المقدس ،**سفر التكوين** ،(1 : 26)

وعليه فقد إشتغل سكان المدينة الأرضية ومنهم أهل الحضارة الرومانية بتطبيق العدالة البشرية بدل العدالة الإلهية ولهذا إجتاح الظلم والدمار هذه الحضارة فهم لم يعتمدوا على الديانة والعقيدة الصحيحة وهي الديانة المسيحية التي تسعى إلى نبذ الظلم وتحقيق العدل والسلام من خلال تطبيق أحكام الله والخضوع لأوامر.

ويري أوغسطين في هذا الصدد أنه "ما من دولة تستطيع أن ترقى إلى مرتبة الدولة الحقه ما لم تكن هي نفسها مسيحية "[1]

ولهذا فإن إزدهار الحضارة الرومانية و قيامها لم يدم طويلا فقد تعرضت للدمار بسبب أطماع الحكام وتسلطهم الظالم للناس وسعي أهلها وراء الماديات والثروات الدنيوية حتى أن العقيدة والديانة التي كانوا يعتمدونها كانت ديانة خاطئة فهي لا تعتمد على أسس الله وقواعده بل ديانة إبتكرها البشر فيما بينهم ولهذا جاء أوغسطين ليبين لهم العقيدة الصحيحة التي ستنظم حياتهم وتقودهم للسلام وهي الديانة المسيحية.

"لقد كان أبرز عيوب روما استسلام أبنائها للرذائل مما اغضب الله منهم فأنزل بهم عقابه وعنده أن أغلب الرومان كانوا مسيحيين إسما فحسب ولذا انغمسوا في الرذيلة مما أسفر عن إنهيار خلقي للإمبراطورية أدى إلى سقوطها.فالمسيحية إذا بريئة من إنهيار روما السياسي الذي نتج عن إنهيار خلقي لا يمكن ان تكون هي علته ،وهي التي تدعوا للفضائل والقيم واستقامة الأخلاق "[2]

ونصل في الأخير إلى أن مدينة الأرض هي النموذج الذي عبر من خلاله أوغسطين على جانب الشر الذي تجسد في طبيعة الأخلاق التي إعتمدها سكان هذه المدينة وقد ضرب أوغسطين مثالا بالحضارة الرومانية التي عاشت فترات من التقدم والإزدهار ثم سقطت و انهارت نتيجة النظام الأخلاقي والديني الغير صحيح الذي إعتمدته وعليه فالمدينة الأرضية هي موطن الشر والخطيئة لأن معظم سكانها يخضعون إلى حب الشهوات وحب الذات

[1] جورج سباين ،**تطور الفكر السياسي ج 2**،مرجع سابق ،ص 280.

[2] زينب محمود الخضيري ،**لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين**،مرجع سابق ،ص 127 ،ص 128

ويميلون إلى التمسك بالدنيا والماديات بدل التمسك بالله وبهذا فالحب فيها فاسد فهي مدينة يسيطر فيها الجسد على الروح كما أنها مدينة يسكنها المخلوقات الشريرة فهي موطن الشيطان والإنس والجن ،فالشيطان هو المسيطر الأكبر على هذه المدينة فهو يحث البشر على إرتكاب الرذائل والخطايا حتى لا ينالوا رضا الله ونعيمه ويقعوا في المعاصي كما أن سكانها لا يؤمنون بالمسيح ولا يعترفون به فهم بعيدون كل البعد عن الديانة المسيحية فقادهم الغرور و،حب التملك والطمع في مغريات الدنيا إلى الرغبة في السيطرة و،التسلط على الغير فنشبت الحروب وحل الدمار بسبب طمعهم هذا وبهذا فهي موطن السلطات السياسية والقوانين الوضعية التي إبتكرها البشر بمساندة من الله لينظم حياتهم ويسير أمورهم في الأرض وهذا ما اعتقده أوغسطين فهو يرى أن الله قد منحهم هذا القانون رحمة منه حتى على الشعوب التي لم تؤمن به ليساعدهم في تسيير حياتهم ولكنه ليس بالقانون الصحيح الذي وجب الإعتماد عليه فهو قانون متغير ونسبي يتغير بتغير أحوال البشر وظروفهم و،القانون الإلهي هو القانون الأمثل لتأسيس حضارة عظيمة وتحقيق السعادة والسلام وهذا ما أهمله سكان المدينة الأرضية فهم لم يسيروا بمقتضى أحكام الله وقوانينه وهذا ما جعلهم بعيدون عن السعادة الحقيقة وهي السعادة الأبدية مع الله فسعادتهم التي ينشدونها في الأرض من خلال تتبع اهوائهم هي سعادة مؤقتة لا تدوم تنتهي بزوال الرغبات والموت.

المبحث الثالث : العلاقة بين مدينة الله ومدينة الشيطان.

منذ أن وجد الإنسان في الأرض وهو في صراع دائم مع ذاته ومع المحيط الذي يتوسطه ، بحيث ان هناك العديد من العوامل التي ضلت تتحكم به وتسيطر على مجمل حياته ومن بين هذه العوامل العامل الأخلاقي المتمثل في الخير والشر والذي سبق وتحدث عنه القديس أوغسطين في كتابه الشهير " مدينة الله " وقدم لنا من خلاله أفكار وتصورات عن كل من عنصر الخير المتجسد في المدينة السماوية وكذا قدم لنا نموذجا عن عنصر الشر الذي تجسد في المدينة الأرضية وبين كل من المدينتين ضل الإنسان هو العامل المشترك و،الوسيط بينهما فهو تارة يسعى نحو المدينة الأرضية بسبب غواية الشيطان له وكذا خضوعه لحب ذاته وسعيه نحو شهوات النفس ،وملذات الدنيا وتارة أخرى يسعى نحو الفضائل وذلك بالسيطرة على نفسه وكبح شهواتها والخضوع لأوامر الله بدل الخضوع لشهوات النفس ،وملذات الدنيا فهو بذالك وقع في صراع دائم بين حب الذات الذي يتجسد في المدينة الأرضية والذي تنجم عنه الرذائل والشر وحب الله الذي أساسه الخضوع لإرادة الله بدل إرادة النفس مما ينجم عنه عامل الخير و،الذي تجسد في المدينة السماوية مدينة الله ومنه الاشكال المطروح : ما طبيعة العلاقة بين كل من المدينتين ؟و ما هي نتائجها؟

سبق وأن وضح لنا أوغسطين من خلال نموذج المدينتين طبيعة النظام الأخلاقي المتمثل في الخير والشر الذي يحكم البشرية وقدم لنا مثالا في ذلك من خلال العقبات والأزمات التي شهدتها الحضارة الرومانية فقد توصل من خلال الأبحاث التي أجراها على هذه الحضارة أن الفساد الأخلاقي الذي كان سببه العقيدة الدينية الخاطئة التي كانوا يتبعونها هي السبب في دمار هذه الحضارة بحيث يقول : "الفساد الديني أو صل إلى الفساد الخلقي والفساد السياسي واستسلم الشعب إلى نزواته وإشباع ملذاته ولم يعد يطالب الدولة بإقامة العدل وصيانة حقوق الإنسان "[1]

[1]أوغسطين،**مدينة الله 2 مج** ،مصدر سابق ،ص 123.

ولهذا فإن الطمع وراء ملذات الدنيا وحب الذات والشهوات قاد أهل هذه الحضارة إلى الجشع وحب السيطرة والتملك والسعي أكثر نحو جمع الثروات وتحقيق الإزدهار والتطور المادي متناسين بذلك القيم والفضائل الأخلاقية السامية القائمة حب الله والسيطرة على شهوات النفس مما نجم عن ذلك تفشي الرذائل والفساد الأخلاقي وانتشرت عدوى هذا الفساد ومست مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها فلم يعد هناك عدالة صحيحة و أصبحت حقوق الناس في ضياع وتشتت وحدة المجتمع. بحيث يقول أوغسطين في هذا الصدد : "شعب افسده الجشع والدعارة اللذان انجبها ذلك الإزدهار (...)الإزدهار أفسدكم "[1]

وعليه فبسبب مشكلة الفساد الذي إجتاح العالم والشر الذي إنتشر في المدينة الأرضية حاول أوغسطين أن يعالج هذه المشكلة من خلال الدعوة إلى إعتناق الديانة المسيحية والتي إعتبرها الديانة المثالية للعيش بسلام وتحقيق السعادة في حياة الإنسان كما أنها الحل الأمثل لتأسيس دولة وحضارة ناجحة فهذه الديانة تدعوا إلى ضرورة التحلي بالفضائل ونبذ الشر من خلال التصدي لشهوات النفس والجسد وتجنب حب الذات وهذا ما توضح في قول أوغسطين :"فلنعمل على الاقل ،بمساعدة الله على أن لا ندع الروح فينا يستسلم لهجمات الجسد حتى إذا انهزم وانقاد إلى قبول الخطيئة. آه لا نظنن ، أن هذه الحروب الداخلية التي نخوضها ، وطالما لا نزال فيها ، ستكون السعادة ثمرة لنا نمتلكها بإرادتنا المنتصرة "[2]

وعليه فهو يدعوا إلى ضرورة التمسك بالله ليكون عونا لنا في التصدي للصراع الداخلي في ذات الإنسان الذي سببه شهوات الجسد و ميولات النفس حتى لا يستسلم المرء لرغباته ويتجنب الوقوع في الخطيئة ،فمن خلال السيطرة على رغبات الجسد وعدم الخضوع لإرادة الذات سينال الإنسان السعادة الحقيقة والأبدية مع الله بدل السعادة المؤقتة والزائلة مع الجسد.

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 1**،مصدر سابق،ص 56.

[2] أوغسطين،**مدينة الله مج 3** ،مصدر سابق ،ص 116 .

"والطبيعة الإنسانية كانت قبل خطيئة آدم خيرة. لكنه نتج عن ذلك أمران : الشهوة والجهل.وبهذا تحولت طبيعته وكان الله قد خلقها في الأصل خيرة ،إلى طبيعة فاسدة لكن الله بفضل منه يمكن ان يرد هذه الطبيعة إلى خير "[1]

وعليه فقد وضح لنا أوغسطين أن هذه المعركة التي يخوضها الإنسان في صورة صراع بين طبيعته الإنسانية الخيرة التي وجدت فيه منذ ولادته من جهة وبين مغريات الدنيا ومكر الشيطان من جهة أخرى وعليه فقد دعى أوغسطين إلى التحلي بالفضائل والتسلح بالعزيمة والصبر على شهوات الجسد ومغريات الدنيا ليكسب حب الله ونعيمه وينتصر على الشر ومكر الشيطان وبهذا يصبح التصدي للشر والبعد عنه من خلال طاعة الله هو السبيل للنجاح في الحياة الدنيا والآخرة.

"فالعالم عند أوغسطين منذ أن خلقه الله وهو في صراع بين نوعين من الحب ،حب الإنسان لله وحب الإنسان لنفسه (...)و انقسم التاريخ إلى تاريخ دنيوي وتاريخ مقدس "[2] وهذا الصراع قد تجسد في كل من مدينة الله التي يحكمها حب الله التي تمثل الخير والمدينة الأرضية التي يحكمها حب الذات وتمثل الشر وقد بدء هذا الصراع منذ خطيئة آدم الأولى ثم انتقل هذا الصراع إلى الأرض بين ابناء بني آدم وساد بين الحضارات و الأمم البشرية وسينتهي بفوز إحدى المدينتين حتى يحل السلام الأبدي هذا ما توصل اليه أوغسطين في قوله : "فا السلام هو ما يشتهيه الإنسان من خلال الحرب لأن كل إنسان في حرب يشنها يسعى إلى السلام وما من احد يطلب السلام لا يسعى إلى حرب "[3]

وعليه فبعد أن وضح لنا أوغسطين الفرق بين كل مدينة وطبيعة الحب السائد في كل مدينة توصل إلى أن لكل مدينة غاية تسعى إلى تحقيقها وهذه الغاية لا تتحقق إلا بوجود

---

[1] عبد الرحمان بدوي ،**موسوعة الفلسفة ج1**،مرجع سابق ،ص 252.

[2] عبد الرحمان بدوي ، المرجع نفس ، ص 251

[3] أوغسطين،**مدينة الله مج 3**،مصدر سابق ،ص 131.

صراع بين الطرفين لذا وجب على الله أن يضع حد لهذا الصراع لذلك أرسل السيد المسيح ليطهر المدينة الأرضية من الشرور والخطايا ويتصدى لكل أعمال الشيطان ويحقق العدالة بين الناس وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه من خلال الجزاء الذي سيناله كل انسان على أعماله فمن عمل شرا سينال العقاب ومن عمل خيرا سينال الثواب.

"فبظهور المسيح ومع انتشار المسيحية إنتهى التمايز والتناقض بين المدينتين ومن ثم وجب أن تتم الوحدة "[1]

وبهذا فإن بعد هذا الصراع الطويل الذي دام بين الخير والشر في كل من المدينتين لابد أن ينتهي بتحقيق السلام الأبدي من خلال فوز إحدى المدينتين وهذا الصراع سيوضع له حد عندما يظهر المسيح ليخلص البشرية من الخطيئة ويحقق العدالة بين الناس وفي هذا يقول "لاشيء يخلصنا من جحيم هذه الحياة التعيسة سوى نعمة المخلص يسوع المسيح الهنا و ربنا "[2]

يتضح أن دور المسيح هنا تخليص البشرية من شقاء وعناء الدنيا لذلك اكد أوغسطين على ضرورة التمسك بالمسيح و اتباع أوامر حتى يحقق الإنسان السعادة وينال رضى الله وفضله ،فمع نهاية الصراع بين المدينتين سوف يكون النصر لمدينة الله الخالدة وتزول مدينة الشيطان وسوف ينال أهل كل مدينة جزاءه بما فعل وبالتالي ستغلب قوى الخير قوة الشر من خلال ظهور المسيح الذي سيعمل نصرة أهل مدينة الله على أهل مدينة الشيطان وسيجازي كل انسان بما فعل بحيث سيعاقب كل من افتعل الرذائل وسعى نحو معصية الله وسيخلص الابرار الصالحين من جحيم الأرض ويجازيهم بالثواب وبذلك سيتحقق السلام الأبدي ويقضى عللى جذور الشر إلى الابد بفوز مدينة الله.

[1] مصطفى النشار ،**فلسفة التاريخ** ،(ط 1 ؛القاهرة :شركة الامل ،2004)ص 75.

[2] أوغسطين،**مدينة الله مج 3**،مصدر سابق ،ص 384.

وفي نهاية هذا الفصل يمكن أن نقول أن أوغسطين قدم لنا نموذج المدينتين بغية الدفاع عن الديانة المسيحية أولا من التهم التي وجهت لها من طرف الحضارة الرومانية ،وعليه فقد حاول أوغسطين أن يرد عليهم من خلال مؤلفه الشهير مدينة الله الذي شرح من خلاله الأسباب التي أدت إلى إنهيار الحضارة الرومانية كما أرجع الفضل إلى الديانة المسيحية لكونها الديانة الصحيحة التي ستعيد لروما مجدها وتقوم من جديد وعليه فقد كان في مؤلفه هذا دعوة إلى تنصير الديانة المسيحية كما كان يحث على إعتناقها بصفتها الديانة التي ستبني لهم حضارة قيمة ومزدهرة بالفضائل كما أنها ستحقق لهم السعادة وتنشد لهم السلام في الدنيا والآخرة.ولهذا قدم لنا نموذج المدينتين ليوضح لنا موقفه من كل مدينة بحيث أنه جسد الخير في مدينة الله القائمة على حب الله والفضيلة والشر في مدينة الأرض القائمة على حب الذات ،والرذيلة كما وضح لنا العلاقة التي جمعت كل من المدينتين ،وهى علاقة الصراع الأبدي بين كل من قوى الخير ،والشر والتي كان سببها خطيئة آدم الأولى التي تمثلت في عصيان الإنسان لأوامر الله ومنه حدث تشتت لقيم الإنسان الفاضلة وتخللها الغرور و،الجهل والطمع وهذا كله راجع إلى مكر الشيطان الذي وسوس له و أمره بفعل المعصية ومنه نال الإنسان غضب الله عليه وانزله من نعيم الجنة إلى الأرض كعقاب له على خطيئته ،وبهذا إنقسمت وحدة العالم إلى قسمين وظهرت مدينة الأرض التي تخللها الشر وسادت فيها الخطيئة ومنه أصبح الإنسان في صراع بين المدينتين فأصبح مخير بين أن يسعى نحو الخير ويصحح أخطائه من خلال التحلي بالفضيلة ،و إخضاع إرادته لحب الله أو ان يختار الخضوع لأمر الشيطان بإتباع شهوات جسده وحب الذات ، وعليه فإن كل من مدينة الله ومدينة الشيطان ضلت في صراع دائم إلى أن ظهر المسيح المبعوث من الله لينصر مدينة الحق مدينة الله ويطهر الأرض من الشرور وكل ما كان سببا في ا نتشار الفساد في الأرض وبهذا سينتهي هذا الصراع بانتصار مدينة الله ومنه سيتحقق السلام الأبدي الذي لم يكن سيتحقق إلا بفضل هذا الصراع.

الفصل الثالث : إشكالية الأخلاق عند أوغسطين

المبحث الأول : في مفهوم الخطيئة عند أوغسطين

المبحث الثاني : أصل شرور الإنسان عند أوغسطين

المبحث الثالث : أساس الفضيلة وأنواعها عند أوغسطين

الفصل الثالث : إشكالية الأخلاق عند أوغسطين :

عمل أوغسطين على مدى سيرته الفكرية والمعرفية على محاولة تبني العديد من الإشكاليات و القضايا المتعلقة بحياة الإنسانية من مختلف المجالات ولعل من أبرز الإشكاليات التي نالت قدرا كبيرا من التحليل والنقاش لديه هي المشكلة الأخلاقية فقد حاول من خلال تفسيراته اللاهوتية والدينية علاج هذه المشكلة والتطرق إلى أهم المسائل التي تتعلق بها معتمدا في ذلك على قواعد وأسس الديانة المسيحية وكل ما يتعلق بها وفي هذا الفصل سنحاول التطرق إلى أهم المواضيع الأخلاقية التي عالجها في فترة العصور الوسطى ومن أبرزها إشكالية الخطيئة والتي مثلت المنطلق الذي يعالج مسألة الأخلاق لدى أوغسطين ثم ننتقل بعد ذلك إلى أصل الشرور عند الإنسان محاولين بذلك تحديد كل ما يميز الفعل الخير من الفعل الشرير لدي أوغسطين ثم ننتقل بعدها إلى مفهوم الفضيلة عنده وأبرز أنواع الفضائل لديه.

المبحث الأول : في مفهوم الخطيئة عند أوغسطين

من المعروف أن معظم الكتب المقدسة قد إتفقت على المعتقد القائل أن أول خطيئة قد وقعت في الكون هي خطيئة آدم الأولى والتي تمثلت في عصيان آدم وزوجته حواء لأمر الله عندما نهاهما أن يأكلا من إحدى الأشجار ولكن بسبب غرور الإنسان وطمعه وغواية الشطان لهما أكلا من تلك الشجرة حتى حل غضب الله عليهما و أنزلهما إلى الأرض كعقاب لهما ،وبناء على هذا المعتقد فإن الخطيئة تخللت البشر جميعا و أصبح جميع البشر مخطئون بسب التعدي على أوامر الله ومخالفته وهذا ما ورد في رسالة يوحنا الأولى "كل من يفعل الخطيئة يفعل التعدي و الخطية هي التعدي "[1]

[1] **الكتاب المقدس** ،يوحنا الأولى (4:3)

وعليه فإن أوغسطين قد فسر مفهوم الخطيئة بناء على معتقد الخطيئة الأولى وهذا ما أكده في كتابه أنه *"بعد نفي (آدم) من الجنة بعدما افتعل خطيئته فرض الله عليه وعلى كل بني جنسه الذين لوثوا ببذور الرذيلة عقوبة الموت...،وهكذا فان كل انسان ينحدر من آدم وزوجته الملعونة بدورها لأنها كانت اداة الخطيئة...،ستلحق بها الخطيئة الأصلية*[1]

وبهذا فان هذه الخطيئة هي التي حرمت آدم من نعمة الخلود في الجنة وجعلت منه كائنا معرضا للخطيئة بينما كان قبل ذلك طاهرا منها ولهذا قد حل عليه غضب الله وعاقبه من خلال ان سلط عليه وعلى كل من بني جنسه الموت.وفي موضع اخر قدم أوغسطين تبريرات أخرى عن الخطيئة فقد " علل ذلك بأن الخطيئة الأولى مختلفة عن سائر الأخطاء التي يمكن للجنس البشري أن يرتكبها من حيث أنها ليست من قبيل الأفعال التي تنسب إلى صاحبها فحسب وإلا نسبت لآدم دون غيره من أبناء ذريته

وبسبب خطيئة آدم أصبح كل الجنس البشري يعاني في الحياة الدنيا من الجهل والعبودية والشهوة وضعف الإرادة ،إلا ان رحمة الله ب الإنسانية وحبه لها تجسد في المسيح ليفديها ويخلصها من خطيئتها الأصلية "[2]

وفي هذا دلالة على انه بالرغم من عصيان الإنسان لأمر الله إلى ان الخالق قد منحه فرصة أخرى ليصحح اخطائه ولهذا أرسل الله المسيح لكي يطهر بني البشر من مخلفات الخطيئة الأولى ويرشد الناس نحو الطريق الصحيح الذي سينجيهم من العذاب ويكسبهم السعادة وحب الله ،وفي قول اخر يصرح "ان اعترفنا بخط ايانا فهو أمين وعادل وحتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم "[3]

وعليه فهو يرى ان الاعتراف بالخطيئة لله والشعور بالذنب إتجاه ما اقترفه الإنسان من اخطاء يعد بداية للتكفير عن الذنوب ونيل الغفران من الله تعالى فمن خلال رحمة الله

[1] زينب محمود الخضيري ،**لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين**،مرجع سابق ،ص 83. 84

[2] زينب محمود الخضيري ،**لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين**،مرجع سابق ،ص 84

[3] أوغسطين،**عظات على رسالة يوحنا الأولى** ،تر : بينامين مرجان ،تق : الانباء موسى ،(د.ط ،د.ب،د.ت) ص 9

الواسعة سوف يسامحهم على خطاياهم ويمحوها لكن شريطة أن يكون فعلا الإنسان نادما على فعلته ويتودد إلى الله بطلب الغفران.

وقد حاول أوغسطين توضيح فكرته عن الخطيئة أكثر فيقول "ما كان الله ليجهل ان الإنسان سوف يخطأ وتحت نير الخطيئة يلد بشر الموت يحملون للأبد هول الاثم (...) سوف يتمتع مع الملائكة بالسلام إلى الابد " .[1]

ويتضح من خلال هذا القول أن الخطيئة الأولى قد غيرت مصير البشرية ككل وهذا لكونها خطيئة كبيرة قد حملت في طياتها عواقب وخيمة توارثها بني البشر طوال حياتهم فمن خلالها تلطخت طبيعة البشر التي كانت طاهرة بالخطيئة والشر و أصبح الإنسان معرضا للخطيئة كما أنها انقصت من مكانة الإنسان عندما أنزله الله من الجنة إلى الأرض و أصبح معرضا للموت بعد أن كان خالدا في نعيم جنات الله ولهذا فقد خلق الله المدينة الأرضية التي يتملكها الشرور والشقاء كملجأ للإنسان بعد خطيئته هذه.

ويقول أوغسطين في موضع آخر "الخطيئة هي الكلام أو الفعل أو الرغبة ضد القانون الأبدي "[2]

ومنه نفهم ان الخطيئة هي تعارض الإنسان مع القانون الذي يحكم العالم أو الطبيعة وهو القانون الإلهي وهذا التعارض ناتج عن خروج الإنسان عن مساره الطبيعي ونقصد بها الطبيعية الخيرة للإنسان فعندما يوجه الإنسان إرادته الحرة نحو كل ما نهى الله ويخضعها وفقا لرغباته وشهواته فإنه بذلك سيقع في الخطيئة ويصبح مقترفا للرذيلة أو الشر سواء عن جهل منه بهذه الخطيئة أو معرفة.

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 2**،مصدر سابق ،ص 99.

[2] جورج طرابيشي ،**معجم الفلاسفة** ،(ط 3؛بيروت :دار الطليعة للطباعة والنشر ،2006) ص 380.

نصل في الأخير إلى أن أوغسطين قد قدم لنا مفهوم الخطيئة بناءا على تفسيراته المعمقة عن معتقد الخطيئة الأولى التي تعد المصدر الأول لدخول الشر إلى عالم البشر فبناء على هذا المعتقد أسس أوغسطين مفهومه عن الخطيئة باعتبارها ناتجة عن فعل أخلاقي شرير والذي يتمثل في عصيان أوامر الله وعدم الخضوع له وذلك عندما لا يحسن الإنسان توجيه إرادته و إخضاعها في ما يرضي الله بل يوجهها في ما ترضي نفسه وفقا لرغباته وشهواته ومنه تصبح الخطيئة قائمة نتيجة لفعل أخلاقي شرير.

المبحث الثاني : أصل شرور الإنسان عند أوغسطين .

حاول أوغسطين من خلال المعتقدات الدينية التي تبنتها المسيحية البحث عن كل ما يتعلق بالقيم الأخلاقية السائدة في عصره كما حاول التعمق في جذورها والبحث عن اصولها والمبادئ الأولى التي بني عليها كل من الخير والشر وعليه فقد ذهب أولا إلى البحث لمعرفة حقيقة الشر وسبب دخوله إلى حياة الإنسان مستندا في ذالك على تعاليم الديانة المسيحية وما ينص عليه الكتاب المقدس كما هدف إلى تصنيف الأفعال الإنسانية حسب الميزان الأخلاقي للخير والشر وتحديد المعيار الذي يحدد الفعل الخير من الشرير حتى لا يقع الإنسان في الخطيئة ومن هنا وجب علينا التساؤل ما هو أصل الشر عند أوغسطين ؟

لقد بدأ أوغسطين في تفسر أصل الشر من خلال ما توصل اليه عن طريق ابحاثه فقد اتضح لديه أن " للموجودات ثلاثة كمالات : التناسب ،الصورة ،النظام.Modus.species ordo وبحسب نصيبها من هذه الكمالات ،سواء كانت جسمانية ام روحية ،تكون مرتبتها في الخير.اما الشر فهو فساد واحد من هذه الكمالات.والشر اما طبيعي ،و اما أخلاقي.وفي ما يتصل بالشر الطبيعي ،يلاحظ ان الاشياء لو نظر اليها في ذاتها فأنها خيرة فإن قيل : إن العالم مسرح للخراب والدمار بفعل العوامل الطبيعية كالزلازل والبراكين و...فالرد على هذا هوان الاشياء التي تهدمت هي في ذواتها خيرة ،ولا بأس من ان تحل بعض الاشياء محل بعض و أنه لجميل منظر التغيير الذي تحدثه هذه العوامل الهدامة "[1]

[1] عبد الرحمان بدوي ،**موسوعة الفلسفة ج1** ،مرجع سابق ،ص 251

ويتضح من خلال ما توصل اليه أوغسطين إلى ان الخالق وضع للموجودات ثلاث كمالات تتناسب معها وبحسب نصيب كل من هذه الكمالات تكون درجته من الخير ولكن أن تخلل الفساد احدى هذه الكملات أو جميعها فأنها بذلك ستصبح شرا وهكذا تكون نسبة الشر بحسب قدر الفساد أو النقص الذي دخل هذه الكمالات وعلى هذا الأساس قسم الشر إلى قسمين الشر الطبيعي وهو الشر الذي يتجسد في الموجودات الطبيعية الغير العاقلة كالجمادات والحيوانات والنبتات والذي يظهر لنا بصورة أعاصير وزلازل وبراكين وكل ما ينحصر في الكوارث الطبيعية وحتى قتال الحيوانات مع بعضها البعض فهذا كله يمثل لنا صورة الشر الطبيعي وهذا النوع من الشر هو في الأصل خير لأنه وجد بهدف احداث التغيير في الكون لأنه يهدم مظاهر قديمة وينصع مظاهر جديدة في الكون.

"أما الشر الأخلاقي فأمره صعب.أنه يرجع إلى حرية الإرادة الإنسانية. فالإنسان ،حر في إتخاذ الطريق الذي يريده :إما الخير وإما الشر...أن حرية الإرادة إذا نظر اليها في ذاتها ،أمر حسن ،إنما سوء استعمال هذه الحرية هو الذي يحيلها إلى شر "[1]

ويتضح هنا أن الشر الأخلاقي يعود في أصله إلى إرادة الإنسان والتي تعد في ذاتها أمر حسن فهي هبة أنعمها الله على الإنسان لكن الله لم يقيد هذه الإرادة و انما أعطى للإنسان الحرية في توجيهها مثلما يشاء سواء بإخضاعها لدوافع خيرة أم شريرة ووعليه فإن الإرادة في أصلها خير ولكن الحرية في سوء توجيهها هو ما يجعل منها مصدرا للشر وكما قلنا سابقا فإن الطبيعة الإنسانية منذ أن خلق آدم أول مرة كانت في أصلها خيرة ولكن بعد *إرتكاب آدم لتلك الخطيئة فسدت هذه الطبيعة وتشوهت بالشهوات والجهل ولكن بفضل رحمة الله لم يسلط الله العذاب الأبدي على الإنسان و إنما منحه فرصة أخرى ليصحح أخطائه ويكفر عن ذنوبه من خلال توجيه إرادته الحرة نحو فعل الخير أو الشر* [2]

[1] عبد الرحمن بدوي ،**معجم الفلسفة** ،مرجع سابق ،ص 252

[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها

وإذا رجعنا إلى أصل شرور العالم كلها فأنها تعود بالدرجة الأولى إلى خطيئة آدم عليه السلام والعقاب الذي انزله الله عليه وبهذا فإن أوغسطين يرى أن الحكم الذي أنزله الله على الإنسان نتيجة هذه الخطيئة هو حكم عادل لأن الإنسان هو السبب الأول في دخول الشر إلى العالم و أصبح الإنسان معرضا للموت والخطيئة وفسدت طبيعته الخيرة التي وجدت فيه منذ الفطرة وفي هذا الصدد يقول : "لأننا بحكم عذاب الخطيئة العادل ،ترانا ضعفاء محكوم علينا بالموت يطاردنا الف حادث وحادث "[1]

وبما أن الخطيئة هي مصدر الشر " فإن الشر كما يقول أوغسطين لا وجود له واقعيا في هذه الحياة إنما هو مجرد غياب للخير أو نقص في الكمال.وهو في الأصل قيمة لتمييز الخير " [2]

وعليه فإن الشر بحسب رأي أوغسطين هو نتيجة نقص في الكماليات أو عدم فعل الخير ولهذا فان الشر ليس موجود منذ البداية ولم يكن فطرة موجودة في الإنسان منذ ولادته و إنما هو مكتسب بفعل الفساد ومن خلال الشر فقط يمكن ادراك الخير والتمييز بين الأفعال الخيرة والشريرة

"فالشر اذن ليس له وجود إلا في نسبته إلى الخير الموجود. فالشر المطلق أو الخالص شيء ليس له وجود عند أوغسطين ،أما الخير الذي لا يوجد معه الشر فهو خير أسمى ،وهذا هو وجود الخالق "[3]

و بهذا فإن وجود الشر لا يمكن أن يكون بمعزل عن الخير فكلاهما مرتبط بالآخر فلولا وجود الخير لما ظهر الشر ولهذا فإن الخير يعد معيار لتمييز و ادراك كل ما هو شر فالشر المطلق ليس له وجود بحسب أوغسطين وهذا لكونه لا يعد طبيعة راسخة في الموجودات منذ النشأة بل هو مكتسب نتيجة النقص أو الفساد في الكماليات ولكن الخير

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 2** ،مصدر سابق،ص 35.

[2] ابوبكر ابراهيم التلوع ،**الاسس النظرية للسلوك الأخلاقي** ،مرجع سابق ،ص 111

[3] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

النقي من الشرور هو الخير الأسمى وهو الخير الصادر من عند الخالق ومن هذا المنطلق يتضح لنا انه يمكن للإنسان إدراك الشر من خلال الخير فمن خلال القدرة على معرفة وتمييز الأفعال الخيرة من الشريرة يمكن للإنسان أن يتفادى الشر ويغير إتجاه مساره من *الشر نحو الخير والمنفعة وذلك من خلال الأيمان الراسخ في النفس والقلب* [1]

وعليه فإن الإنسان يقع في الشر عادة بسبب جهله أو عدم مقدرته على معرفة الأفعال الخيرة من الشريرة وهذا ما وضحه أوغسطين من خلال احدى الامثلة "فالسم مثلا كما يقول أوغسطين مادة قاتلة للأحياء وبالتالي فهو شر.إلا أنه إذا أستعمل بحكمة فإنه سيتحول إلى خير ودواء شاف لبعض الأمراض.فالإدراك الحقيقي للموجودات و أغراضها ووظائفها في هذا الكون يؤدي إلى تحقيق الخير والابتعاد عن الشر و الرذيلة "[2]

وعليه فقد توجه أوغسطين إلى تفسير إشكالية الشر بطريقة جديدة ومغايرة لكل ما جاء به غيره من الفلاسفة فقد إعتبر ان الشر هو مجرد فعل أو سلوك يقوم به الإنسان لنقص دافع الخير في قلبه وابتعاده عن الرب ،وكلما زاد ابتعاده عن الرب نقص دافعه نحو الخير فتصبح تلك الأفعال و السلوكات الناتجة عن هذا النقص هي ما يسمى بالشر وعليه فان الإنسان ذو إرادة خيرة بالفطرة ولكن الحرية التي منحه الله إياها في توجيه إرادته أينما يشاء هي التي دفعته إلى إرتكاب الشر نتيجة إخضاع إرادته لشهواته ورغباته بدل إخضاعها لله وكما قال أوغسطين "يستطيع الله أن ينشئ عالما يشتمل على خير أخلاقي شريطة أن يخلق أناسا ذوي إرادة حرة ،ومادام كل إنسان فرد ليس إلا تحقيقا فعليا لماهية ،فإن الله يستطيع أن يخلق أناسا ذوي إرادة حرة وذلك بأن يحقق ماهيتهم الفردية بالفعل ،لكن إذا كانت كل ماهية تعاني من الفساد أصلا ،فإن كل البشر بغض النظر عما يحققه الله فيهم من ماهيات ،بالرغم ،كونهم أحرارا فيما يقومون به من أعمال صالحة ،سوف يقترفون دائما

[1] ابوبكر ابراهيم التلوع ،**الاسس النظرية للسلوك الأخلاقي** ،مرجع سابق ،ص 112

[2] المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

بعض الاعمال الطالحة ،وإذا كانت ماهية الإنسان الفرد تعاني من الفساد أصلا ،فإنه لم يكن في مقدور الله ذاته أن ينشأ عالما يشتمل على خير أخلاقي دون أن يشتمل أيضا على شر أخلاقي "[1]

أي أن الشر ليس من صنع الله بل هو من صنع الإنسان فالله لا يخلق إلا الخير وعليه فإن الشر ليس فطرة موجودة في الإنسان بل هو مكتسب بفعل دوافع معينة تتمثل في الإرادة الحرة التي تخالف قوانين لله و أوامر ومنه يصبح هناك نقص في الخير ووقوع للشر وعليه فلم يكن ليخلق الله في الإنسان إمكانية وجود الخير الأخلاقي دون وجود امكانية الشر فيها أيضا .

وفي الاخير نصل إلى ان أوغسطين قد حدد أسباب وجود الشر إلى عنصر الفساد أو النقصان الذي تخلل الطبيعة البشرية الطاهرة والخيرة في أصلها منذ ان ارتكب آدم الخطيئة الأولى فأصبح الإنسان معرضا للخطيئة لأنه لم يحسن توجيه إرادته الحرة في ما يرضي الله وعليه فان الإرادة الحرة التي وجهت آدم نحو عصيان الله بدل طاعته ومنها تخلل الفساد والشر الإنسان.

[1] alvin plantinga. **the nature of necessity**(oxford clarendon press.1974). Pp 188 -9

المبحث الثالث : أساس الفضيلة وأنواعها عند أوغسطين

عمل أوغسطين من خلال أبحاثه ودراسته إلى شرح وتحليل العديد من المفاهيم التي تتعلق بالجانب الأخلاقي كما حاول التطرق إلى مختلف الإشكاليات التي تتعلق بالقيم الأخلاقية وحاول أن يساهم في حلها ومن بين هذه المفاهيم التي نالت الحظ الأوفر من الشرح والتفسير نجد مفهوم الفضيلة والذي قد ركز عليه بشكل كبير نظرا لأهميته في حياة الإنسان ،وذلك لإعتبار الفضيلة هي السلاح الأمثل للتصدي للرذائل ومختلف مصادر الشر في العالم كما أنها تعد العلاج الذي يخلص الإنسان من الالام والآثام وتجنبه الغرق في شهوات الجسد وعليه فقد وضع أوغسطين المبادئ والأسس التي تبنى عليها الفضيلة كما اجتهد في توضيح مدى اهميتها للإنسان في حياته الدنيوية والآخرة. وعليه فيما تتمثل الفضيلة عند أوغسطين ؟وما هي أنواعها الاساسية ؟

الفضيلة :

يقول أوغسطين :"الفضيلة ذاتها لا تعد بين خيور الطبيعة الأولى ؛لأن التربية تدخلها لاحقا بعدها ،على ان الفضيلة التي تطالب بالمركز الأول بين خيور الإنسان ما هو عملها ها هنا ؟وإلا كانت حربا على الرذائل ؛لا على الرذائل الخارجية بل الداخلية ،ليست حربا على الرذائل الغريبة بل على رذائلنا الخاصة والشخصية "[1]

لقد توجه أوغسطين إلى تحليل مفهوم الفضيلة ب إعتبارها صراع ضد الرذائل الشخصية والخاصة بذات الإنسان وليس رذائل الآخرين ،كما أنها الوسيلة التي تطهر الإنسان من الشرور والرذائل فالفضيلة التي يعتقدها أوغسطين هي تلك التي يكتسبها الإنسان من خلال تجاربه في الحياة والتربية السليمة وتكون بمثابة سلاح الداخلي في نفس الإنسان

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 1**،مصدر سابق ،ص 115.

الذي يحارب به كل ما يوقعه في الرذيلة من شهوات وملذات و ميولات فالفضيلة عنده ليست فطرية في الإنسان و إنما يصنعها الإنسان بنفسه لتكون له بمثابة الدرع الذي يحميه من الوقوع في الرذيلة.وعلى هذا الأساس نتوصل إلى أن الفضيلة لا تولد مع الإنسان و إنما يكتسبها بنفسه ليحصن ذاته من الرذيلة والشر .

كما يعرفها على أنها "كل ما على الإنسان أن يعمله ،والسعادة هي كل ما يشتهيه"[1]

ولذلك فقد ربط أوغسطين هنا الفضيلة بالعمل وقال أنها تتعلق بكل ما يقدمه الإنسان لغيره من خلال أفعال و سلوكات خيرة فهي ليست مرتبطة بالسعادة الناجمة عن شهوات الجسد والملذات وقد تكلم عن الفضيلة في موضع آخر و قال : "في البداية الأمر فليكن راسخا في العقول ان الفضيلة المبدأ الأساسي لحياة صالحة هي التي تأمر من أعلى النفس ،مقرها اعضاء الجسد فيتقدس الجسد بإرادة مقدسة "[2]

وعليه فإن الفضيلة هي قوام الحياة السعيدة والتي تتمثل في إخضاع الإرادة نحو العمل الصالح إتجاه الغير وبذلك فهي تنشد السعادة الروحية وليس السعادة الجسدية التي يحكمها حب الشهوات والأهواء وبهذا ،فهي التي تنظم وتصلح حياة الفرد وتجعل منه كائنا مقدسا عند الله. وبما أن الفضيلة مرتبطة بالعمل فإنه من الضروري أن يكون هذا العمل مرتبطا بالمحبة ويقصد بها المحبة إتجاه الله وهذا ما اكده في قوله

"إن أدت بنا الفضيلة إلى الحياة السعيدة فإني اؤكد بأن لإكمال في الفضيلة إلا بمحبة الله السامية "[3]

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 1**،مصدر سابق ص 193.

[2] المصدر نفسه ،ص 34.

[3] القديس أوغسطين،**خواطر فيلسوف في الحياة الروحية** ،تر : الخوري يوحنا الحلو،(ط 7 ،بيروت : دار المشرق ،2004) ص 366

و من هذا المنظور فإن قوام الفضيلة هو المحبة الخالصة لله تعالى والعمل الصالح مما ينتج عنه تحقيق السعادة وصلاح حياة الإنسان.

وفي الأخير يتبين لنا أن أوغسطين قد عالج فكرة الفضيلة إنطلاقا من تجاربه الخاصة بحيث توصل إلى ان الفضيلة لا تولد مع الإنسان فلو كان الأمر كذلك لما أصبح الإنسان معرضا للوقوع في الرذيلة أو قادرا على إفتعال الرذائل وعليه فالفضيلة هي نتيجة مكتسبة من خلال التربية وتجارب الحياة وتقوم على محبة الله والعمل الصالح ومنها يحقق الإنسان السعادة الحقيقة المرتبطة بالروح وليس السعادة المؤقتة المرتبطة بشهوات الجسد.

أنواع الفضيلة :

سبق وأن أشار لنا أوغسطين عن مفهوم الفضيلة وتجلياتها وعليه فقد عمل أيضا على تقسيم الفضيلة إلى أربعة أنواع اساسية والتي من خلالها يعبر الإنسان عن مدى حبه و إخلاصه لله تعالى ومن خلالها يحقق السعادة ويصلح قوام حياته وعليه فيمكن حصر هذه الفضائل فيما يلي :

1_**فضيلة الاعتدال** :وهي " الفضيلة التي تكبح جماح الرغبات الجسدية خوفا من ان تنتزع من العقل الضعيف تنازلات مؤسفة "[1]

وعليه تتجسد هذه الفضيلة في كونها تتصدى لكل ما يشتهيه الجسد وما يطمع اليه من خلال كبح الشهوات والصبر عليها لأنه لو إتبع الإنسان شهواته الجسدية و أهوائه فإنه سيقع في الرذيلة وبذلك في تشكل حربا ضد الرذيلة أو ما يمكن أن نسميه حرب الروح ضد الجسد فالجسد يطمع فيما لا تشتهيه الروح كما أن الروح تريد ما لا يريده الجسد وهذا ما قاله

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 3** ،مصدر سابق ،ص 115

القديس أوغسطين "وألا يجوز الإعتقاد بأن لا عيب فينا حين يقول الرسول (الجسد يشتهي ماهو ضد الروح) " [1]

وكما انه ربط فضيلة الاعتدال بمبدأ اساسي ألا وهو الحب فقال "الإعتدال هو الحب الذي يقدم ذاته إلى محبوبة كاملا "[2]

ويقصد بهذا أن يخلص العبد في حبه لله وعبادته دون غيره فمن خلال هذا الحب الذي يمنحه لله سيتفادى الوقوع في الرذائل التي سببها شهوات الجسد والأهواء.

2_فضيلة القوة : ويعرفها أوغسطين بأنها "القوة هي الحب الذي يحتمل كل شيء في سبيل محبوبه " فهي "الحب الذي يحتمل كل شيء وبسهولة في سبيل الله "[3]

وعليه فالقوة تمثل ذلك الحب الكبير الذي يكنه الإنسان الفاضل إلى الله تعالى ويظهر هذا الحب من خلال تحمل الإنسان للصعاب و لألام والتحلي بالصبر على شهوات الجسد والملذات الدنيوية فيعمل على محاربة كل هذه العقبات التي تقف في طريقه حتى لا يضعف أمام مغريات لدنيا و ميولات الجسد فيقع في الرذيلة وكل هذه المقاومة من أجل الوصول إلى محبة الله السامية ورضاه والتي كانت هدفه منذ البداية.

3_فضيلة البر : ويعرفها أوغسطين بقوله "البر هو الحب الذي لا يخدم سوى محبوبه ،فيسيطر بصدق "[4]

ويقصد بذلك أن هذه الفضيلة تتجسد في الاخلاص في عبادة الله تعالى وحبه دون سواه وان يسعى إلى طاعة الله والخضوع لأوامر و إجتناب نواهيه وخدمته بكل حب و اخلاص دون ملل أو كراهية كما أن "البر يخضع كل شيء لله وحده " [5]

---

[1] أوغسطين،**مدينة الله مج 3** ،مصدر سابق 115 ص 116

[2] أوغسطين،**خواطر فيلسوف في الحياة الروحية** ،مصدر سابق ،ص 366

[3] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها

[4] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها

[5] المصدر نفسه ،ص 368.

أي أن يسعى الإنسان لتسخير كل ما يملكه في سبيل إرضاء الله وخدمته و أن ينظر الإنسان إلى أن الله هو سيده الواحد دون أن يشرك معه إلها آخر وعليه فإن هذا الحب يمكن الإنسان من السعي نحو الله فقط كما يحفزه على أن يبقى مخلصا في طاعته لله دون أن يلهيه شيء اخر عن عبادة الله.

4_فضيلة الفطنة : تعرف هذه الفضيلة من منظور أوغسطين على أنها"هي الحب الذي يميز بين ما يساعد على البلوغ إلى الله وبين ما يمنع عنه " [1]

وعليه فان هذه الفضيلة تتمثل في الحب الذي ينير بصيرة الإنسان ويجعل قادرا على التمييز بين ما هو خير وما هو شر فهي تساعد الإنسان على إدراك كل ما يجب فعله لبلوغ الله ونيل رضاه وتجنبه كل ما يبعده عن سبيل الله فهي وسيلة تقرب الإنسان من ربه كما ان "الفطنة ان تتسلح بالإنتباه والسهر التام لئلا تقع فريسة مشير عاطل " [2]

ويعني هذا أن الفطنة تتجسد في التحلي بالإنتباه والحذر من أي شيء قد يوقعه في الضلالة ويبعده عن الله وبهذا فهي تتلخص في كونها الحب الذي يمنح الإنسان القدرة على المعرفة والتمكن من ادراك وتمييز بين كل ما هو خير ويرضي الله وبين كل ما هو شرير وبتالي يغضب الله.

وقد قدم أوغسطين تعريفا أكثر دقة عن الفطنة في كتابه مدينة الله حيث يقول "وتلك الفضيلة المسماة الفطنة ألا تستعمل وعيها لتمييز الخير من الشر ،كي لا تقع في ضلال في سعيها للخير وهروبها من الشر ؟ومع ذلك فأنها تشهد بأن الشر فينا أو بأننا في الشر وهي نفسها تعلمنا بأن القبول بالخطيئة شر وان مقاومة الميل إلى الخطيئة خير "[3]

---

[1] أوغسطين،**خواطر فيلسوف في الحياة الروحية** ،مصدر سابق ،ص 366

[2] المصدر نفسه ،ص 368.

[3] أوغسطين،**مدينة الله مج 3** ،مصدر سابق ،ص 116

وعليه فإن هذه الفضيلة تعد من أسمى الفضائل لدى أوغسطين لكونها تمثل الوعي الذي يوجه الإنسان ويرشده نحو التحلي بكل ما فيه خير ويرضي الله ويقربه منه وبين تجنب كل شر ينهى عنه الله فلا نقع بذلك في الضلالة ونبعد عن الله وبهذا فإن هذه الفضيلة تغنينا عن كل الفضائل السابقة لكونها قد إحتوت على العنصر الأساسي وهو التمييز والإنتباه والذي سيوجهنا إلى الطريق الصحيح نحو الله ويجنبنا المسار الخطأ وهذا ما اكده أوغسطين في قوله :"ان اعوزتك الفطنة فلا مجال للفضائل التي سبق الكلام عنها "[1]

إن جملة هذه الفضائل الأربعة تمثل كلها القيم الأخلاقية الأساسية التي وجب على الإنسان التحلي بها من منظور أوغسطين فهي التي ستساعده على تجنب الوقوع في الرذيلة كما تقربه من الله أكثر وتجنبه الخطيئة ولكن هذا لا يعني ان أوغسطين قد حصر اساس القيم الأخلاقية الخيرة في هذه الفضائل الاربعة فقط بل تحدث عن فضائل أخرى فقد ذهب إلى القول "بأنها الحكمة والعفة والشجاعة والعدل وغيرها من فضائل أخرى كالصبر والكرم والبذل "[2] كما تكلم عن فضيلة الطهارة والقدرة فيقول : "الطهارة فضيلة في النفس وأن القدرة رفيقتها العادية تؤهلها لأن تتحمل كل شيء لا أن تقبل بالشر "[3]

وعليه فان كل هذه الفضائل تهدف إلى أن توجه الإنسان نحو طاعة الله وتساعده في بلوغ رضاه وحبه وبالتالي يحقق الإنسان السعادة المثالية التي تتجلى في الله وحده دون سواه.

ونصل من خلال ما سبق أن أوغسطين قدم لنا مفهوم الفضيلة ليوضح لنا دورها في التصدي للرذائل بإعتبارها وسيلة تكبح شهوات النفس وتمنع الإنسان من الوقوع في الخطيئة في السلاح الذي يكتسبه الإنسان ليتصدى بها إلى كل مصادر الشر و لينال رضا الله

---

[1] أوغسطين،**خواطر فيلسوف في الحياة الروحية** ،مصدر سابق ،ص 368.

[2] كامل محمد محمد عويضة ،**الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى** ،(ط 1 ؛بيروت :دار الكتب العلمية ،1993)ص64.

[3] أوغسطين ،**مدينة الله مج 1** ،مصدر سابق ،ص 35.

ويحقق السعادة في حياته ولهذا فقد دعى أوغسطي ن إلى التحلي بأربعة أنواع اساسية من الفضائل وذلك نظرا لدورها و أهميتها الكبيرة في حياة الإنسان .

ونصل من خلال ما سبق أن أوغسطين قدم لنا مفهوم الفضيلة ليوضح لنا دورها في التصدي للرذائل بإعتبارها وسيلة تكبح شهوات النفس وتمنع الإنسان من الوقوع في الخطيئة فهي السلاح الذي يكتسبه الإنسان من خلال التربية السليمة وتجاربه في الحياة ليتصدى بها إلى كل مصادر الشر لينال رضا الله ويحقق السعادة في حياته ولهذا فقد دعى أوغسطين إلى التحلي بأربعة أنواع اساسية من الفضائل وذلك نظرا لدورها و اهميتها الكبيرة في حياة الإنسان .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث و بعد دراسة وتحليل لموضوع التفسير الديني للأخلاق عند أوغسطين وصلنا إلى جملة من النتائج والتي تعد اجابات عن مختلف التساؤلات المطروحة في مقدمة هذا البحث وعليه فقد توصلنا إلى النتائج التالية :

تعتبر مرحلة العصور الوسطى عصر فيه عدة تغيرات من مختلف الإتجاهات وذلك راجع إلى إنتشار الديانة المسيحية في تلك الفترة مما جعلها تتدخل وتتحكم في مختلف جوانب الحياة الإجتماعية للحضارة الغربية وخاصة على الصعيد السياسي والأخلاقي و الديني ؛فقد فرضت الكنيسة سيطرتها على العقل البشري و أصبح التفكير مقيد بأحكام الكنيسة ،ولهذا فهي ترفض صدور أي إنتاج فكري لا يتطابق مع مقتضي تعاليم الديانة المسيحية وعلى هذا الاساس أصبح الدين المسيحي هو المسيطر الأكبر في فترة العصور الوسطى .

كان للديانة المسيحية دور كبير في تطور عدة حضارات و إزدهارها ،ولعل السبب الرئيسي الذي جعلها تتقن هذا الدور وتنجح فيه راجع إلى طبيعة النظام الأخلاقي الذي تلتزم به هذه الديانة فقد أقامت الأخلاق بناء على تشكيلة فريدة من نوعها تظم كل من المعارف اليونانية وما يناسبها من مبادئ وأسس الدين المسحي .

تعتبر القيم الأخلاقية في المرحلة الوسيطية تدور حول مفهوم الخطيئة كدلالة على كل الأفعال الرذيلة والتي تعد مصدر الشر الأساسي في العالم نظرا لعدم مطابقتها لما قال به القانون الإلهي ،وتشمل أيضا الرذيلة وهي توجيه الإنسان لإرادته في اتباع شهوات الدنيا وملذاتها وإتباع أهواء النفس وعدم إخضاع إرادته لإرادة الله بغرض طاعته . وعليه فإن ما يميز الفعل الخير من الفعل الشرير هو أن هذا الأخير يخضع للإرادة الإلهية بحرية ،وذلك بإخضاع إرادته لإرادة الله أو توجيهها في سبيل عصيانه ويصبح الشر هنا هو مخالفة للنظام الإلهي و إرتكاب الأفعال التي ينهى عنها الله ،و من ثمة فان الاستجابة لإرادة الله تعد فضيلة في نظر المسيحيين والفضيلة تستحق الثواب ،أما الرذيلة فهي عكس ذلك وهي مصدر الشر ومنها ينال العبد العقاب من ربه .

تأسست مختلف القيم الأخلاقية في المرحلة الوسيطية بناء على التعاليم الدينية و النصوص الدينية الحقة والتي تعود إلى المرجعيات الأولى منذ ظهور الإنسان على وجه الأرض وتمثلت في خطيئة آدم التي تعتبر البذرة الأولى لإنبثاق مختلف التفسيرات الدينية للأخلاق

من خلال تاريخ الديانة المسيحية في هذه المرحلة يلاحظ أن القديس أوغسطين قد لعب دور كبير في إرساء دعائم هذه الديانة ،باعتباره من أوائل الباحثين فيها فقد توجه إلى دراسة وتحليل هذه الديانة بهدف تنصيرها وجعلها نموذج العقيدة المثالية التي تقوم عليها الحضارات ،ولهذا فقد سعى أوغسطين إلى كتابة العديد من المؤلفات التى تروي إسهامات هذه الديانة ودورها في النهوض بالمجتمع وتحقيق السعادة والسلام .

حاول أوغسطين من خلال أهم مؤلفاته شرح الأسباب التي أدت إلى إنهيار الحضارة الرومانية كما أرجع الفضل إلى الديانة المسيحية لكونها الديانة الصحيحة التي ستعيد لروما أمجادها وتقوم من جديد ،كان في مؤلفاته هذه دعوة إلى تنصير الديانة المسيحية كما كان يحث على اعتناقها بصفتها الديانة التي ستبني لهم حضارة قيمة ومزدهرة بالفضائل

قدم أوغسطين لنا نموذج المدينتين ليوضح لنا موقفه من كل مدينة بحيث أنه جسد الخير في مدينة الله القائمة على حب الله والفضيلة والشر في مدينة الأرض القائمة على حب الذات ،والرذيلة كما وضح لنا العلاقة التي جمعت كل من المدينتين ،وهى علاقة الصراع الأبدي بين كل من قوى الخير ،و قوى الشر والتي كان سببها خطيئة آدم الأولى التي تمثلت في عصيان الإنسان لأوامر الله ومنه حدث تشتت لقيم الإنسان الفاضلة وتخللها الغرور و،الجهل والفساد .

قسم أوغسطين العالم ألى قسمين ظهرت مدينة الأرض التي تخللها الشر وسادت فيها الخطيئة ،ومنه أصبح الإنسان في صراع بين المدينتين فأصبح مخير بين أن يسعى نحو الخير ويصحح اخطائه من خلال التحلي بالفضيلة ،و إخضاع إرادته لحب الله أو ان يختار الخضوع لأمر الشيطان بإتباع شهوات جسده وحب الذات .

ومنه فإن كل من مدينة الله ومدينة الشيطان ستضلان في صراع دائم إلى ان يظهر المسيح المبعوث من الله لينصر مدينة الحق مدينة الله ويطهر الأرض من الشرور و أخيرا سينتهي هذا الصراع بانتصار مدينة الله ومنه سيتحقق السلام الأبدي الذي لم يكن سيتحقق إلا بفضله .

وبناء على ما قدمه القديس أوغسطين من خلال نموذج المدينتين حاول البحث عن حقيقة الخطيئة وأصل الشر في الإنسان و توصل إلى أن الخطيئة ناتجة عن فعل أخلاقي شرير يتمثل في عصيان أوامر الله وعدم الخضوع له وذلك عندما لا يحسن الإنسان توجيه إرادته و إخضاعها في ما يرضي الله بل يوجهها في ما ترضي نفسه وفقا لرغباته وشهواته ،معتمدا في تفسيره هذا على معتقد الخطيئة الأولى التي كانت في نظره السبب الأول لظهور الخطيئة في المجتمع البشري وعلى هذا الاساس توجه أوغسطين إلى البحث عن أسباب وجود الشر ،والتي يرى أنها راجعة إلى عنصر الفساد أو النقصان الذي تخلل الطبيعة البشرية الطاهرة والخيرة في أصلها ولكن منذ إن إرتكب آدم الخطيئة الأولى أصبح الإنسان معرضا للخطيئة ،وهذا راجع إلى الإرادة الحرة التي منحها الله أيها كهبة تميزه عن سائر المخلوقات.

وفي الأخير نصل إلى أن الفكر الأوغسطيني قد أحدث قفزة نوعية واضحة على الصعيد الفلسفي والديني في مرحلة العصور الوسطى من خلال ما قدمه من أفكار وتفسيرات ساهمت بشكل كبير في النهوض بالفكر الغربي وتطويره كما أسهم في وضع صبغة جديدة ومميزة في مجال الفكر الأخلاقي والذي لا تزال تتوارثه الأجيال إلى يومنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

1 -أوغسطين ،مدينة الله ، تر : الخور اسقف يوحنا الحلو ؛ط 2 ؛ ،بيروت : دار المشرق ،2006، مج 1

2 ـــــــــ، مدينة الله_، تر :الخور اسقف يوحنا الحلو؛ط 2؛ بيروت :دار المشرق ،2007 مج 2

3 ـــــــــ ، مدينة الله ، تر : الخور اسقف يوحنا الحلو ؛ط 2 ،بيروت :دار المشرق ،2007 مج 3

4 ـــــــــ ،عظات على رسالة يوحنا الأولى ،تر : بينامين مرجان ،تق : الأنباء موسى ، د.ط ،د.ب،د.ت

5 - ـــــــــ ، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ،تر : الخوري يوحنا الحلو ،(ط 7 ؛بيروت ،دار المشرق ،2004

قائمة المراجع :

6_الأبوان بولس الفغالي و أنطوان عوكر ،العهد القديم ترجمة بين السطور (عبري ،عربي) ،ط 1 ؛"لبنان :الجامعة الأنطونية توزيع المكتبة البوليسية ،2007

7_أبوبكر إبراهيم التلوع ،الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي د ط ؛بنغازي ،دار الكتب الوطنية ،1995

8_أتين هنري جلسون ،روح الفلسفة المسيحية_،تر الامام عبد الفتاح ،ط 3 ؛مصر ،مكتبة مدبولي ،1996

9_اسبينوزا ،رسالة في اللاهوت والسياسة ،تر : حسن حنفي د ط ؛مصر ،المطبعة الثقافية ،1971

10_ العقاد عباس محمود ،إبليس ،بحث في تاريخ الخير والشر وتمييز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم د ط ؛مصر: دار النهضة للطبع والنشر ،1985 م

11_ بلور أحمد حاجي ،الفلسفة السياسية من كونفشيوس إلى هيجل _، د ط ؛ عمان : دار اسامة للنشر والتوزيع ،2016

12_جورج طرابيشي ،معجم الفلاسفة ، ط 3 ،بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ،2006

13_ زينب محمود الخضيري ،لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين _، د ط ؛القاهرة :دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،1998 م

14_عامر عبد زيد ، تأويل اللاهوتي لتاريخ أوغسطين _،ط 1 ؛بيروت : ،دار الروافد الثقافية ،2012

15_ عبد الرحمان بدوي ،فلسفة العصور الوسطى ، ط 3 ،بيروت : دار القلم ،1979 م

16_علي زيعور ،أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ط 1 ؛بيروت :دار اقرا للنشر ، 1403 هـ ، 1983 م

17_ علي عبود المحمد اوي ،فلسفة التاريخ (جدل البداية والنهاية والعود الدائم) ط 1 ؛بيروت :دار الروافد للنشر والتوزيع ،2012

18_مجلس اساقفة الكنيسة الألمانية ،المسيحية في أخلاقياتها _ ط 1 ؛بيروت :منشورات المكتبة البوليسية ،1996

19_محمد عبد الستار نصار ،دراسات في فلسفة الأخلاق _،ط 1 ؛الكويت :دار القلم ،1982 م

20_محمد مهران رشوان ،تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية _د ط ؛ مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،1998 م

21_ محمد يوسف موسى ،تاريخ الأخلاق ،ط 3 ؛ مصر :مطابع دار الكتاب العربي ،1373 هـ ،1953 م

22_ مصطفى النشار ،تطور الفكر السياسي القديم ، ط 1 ؛القاهرة :دار القباء للنشر ،1998

23_ مصطفى النشار ،فلسفة التاريخ ،ط 1 ؛القاهرة :شركة الامل ،2004

24_ كامل محمد محمد عويضة ،الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى ، ط 1 ،بيروت : دار الكتب العلمية ،1993

المراجع الأجنبية :

25_ alvin plantinga. the nature of necessity(oxford clarendon press.1974).

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر و عرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول :الأطر العامة للفكر الأخلاقي في المرحلة الوسيطية	08
المبحث الأول :مفهوم الأخلاق في المرحلة الوسيطية	09
المبحث الثاني : الأخلاق و الفضائل في المرحلة الوسيطية	14
المبحث الثالث : علاقة الأخلاق بالخطيئة في المرحلة الوسيطية	20
الفصل الثاني : مدينة الله في مقابل مدينة الشيطان عند أوغسطين	27
المبحث الأول : حقيقة مدينة الله عند أوغسطين	31
المبحث الثاني :المدينة الأرضية عند أوغسطين أصلها و ماهيتها	38
المبحث الثالث : العلاقة بين مدينة الله و مدينة الشيطان	45
الفصل الثالث :إشكالية الأخلاق عند أوغسطين	50
المبحث الأول : في مفهوم الخطيئة عند أوغسطين	51
المبحث الثاني : أصل شرور الإنسان عند أوغسطين	55
المبحث الثالث : أساس الفضيلة و أنواعها عند أوغسطين	60
الخاتمة	67
قائمة المراجع	71
الفهرس	

ملخص :

يعد هذا العمل كمحاولة للإحاطة ببعض جوانب الفكر الفلسفي للقديس أوغسطين، وخاصة في الجانب الأخلاقي فقد حاول من خلال إسهاماته الفكرية والمعرفية أن يقدم لنا نموذج مثالي للقيم الأخلاقية في فترة العصور الوسطى، معتمدا في ذلك على تعاليم الديانة المسيحية وما تحويه الكتب المقدسة لهذه الديانة، وعليه فقد اتخذ من الحضارة الرومانية كميدان للدراسة والبحث لكي يعالج مختلف القضايا والإشكاليات التي تحيط بالبشرية، لذلك قام بصياغة نظرية المدينتين التي تتحدث عن كل من "مدينة الله "و المدينة الأرضية "مدينة

الشيطان "وعليه فقد كان مشروع المدينتين المثال الذي عبر من خلاله عن طبيعة النظام السياسي والأخلاقي الذي يحكم كل من سكان المدينة السماوية والمدينة الأرضية، موضحا بذلك طبيعة العلاقة بينهما والمتمثلة في علاقة صراع بينهما وذلك راجع للاختلاف طبيعة القيم الأخلاقية والسياسية التي تحكم كل من المدينتين.

الكلمات المفتاحية : الأخلاق،الدولة ،المدينة ،الدين ،المسيحية ،العناية الإلهية .

Summary :

This work is an attempt to capture some aspects of the philosophical thought of Saint Augustine, especially On the ethical side, he tried, through his intellectual and cognitive contributions, to provide us with a model An ideal of moral values in the medieval period, based on the teachings of religion Christianity and what the sacred books of this religion contain, and accordingly it was taken from the Roman civilization As a field of study and research in order to address the various issues and problems that surround humanity, so He formulated the theory of two cities, which speaks of both the “City of God” and the earthly city “City .evil "Thus, the two cities project was the example through which he expressed the nature of the system The political and moral who governs both the inhabitants of the heavenly city and the earthly city, explaining Thus, the nature of the relationship between them, which is represented in the relationship of conflict between them, and this is due to the difference in the nature of The moral and political values that govern both cities.

Keywords: ethics, state, city, religion, Christianity, divine providence.